مجلة بحوث
المدينة المنورة
ودراساتها
العدد ٤٧
العدد الأول لعام ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨ م

- عودة الحجاج المغاربة من مكة المكرمة وإجراءات الوقاية على متن السفينة ضد عدوى الجدري.
- التعليم في عصر الخلفاء الراشدين (مراحله، وطرقه، وأساليبه).
- العمارة العثمانية لمسجد قباء خلال عهد السلطان محمود الثاني.
- تحصينات المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م
Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

العِمـــارةُ العثمانيَّـــةُ لمســـــجد قبَـــــاءِ خـــــلال عهـــــد السلطان محمود الثاني

(١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨-١٨٣٩م)

دراسة تاريخيَّة وثائقيَّة

إعـــداد:

د. نهلة شحات عمر محبت

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك

جامعـــة طيبـــة بالمدينـــة المنـــورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مقدِّمة

الحمد لله الذي شرع لعباده المؤمنين بيوتًا يُذكر فيها اسمه، ويُعلى فيها ذكره، وتصدح بها آيات كتابه ، وتصدع في جنبات مآذنها ذكره -ﷻ- وذكر نبيه-ﷺ-، وتتآلف قلوب عباده بتراصّهم جنبًا إلى جنب، ويتقرب فيها المسلمون بشتى أنواع العبادة لله من أداء للصلاة المفروضة والنافلة، وتلاوة للقرآن الكريم، وذكر لله -ﷻ-، واعتكاف وتسبيح واستغفار ودعاء.

ولقد جعل الله -ﷻ- المساجد بيوتا له في الأرض وأمر عباده بإعمارها بالذكر والعبادة، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾(١)، عليها تهبط الملائكة وتتنزل الرحمة ويغشى أهلها السكينة والطمأنينة، وتحُفُّ عليهم البركة، يلقى المسلم أخاه المسلم في اليوم والليلة خمس مرات، فتقوى بينهم أواصر الألفة والصلة والمودة، وتنشأ روابط التعارف والتزاور والتواصل، وهي رياض رحبة تعقد فيها حلقات العلم والمدارسة للعلوم الشرعية، وتقام فيها حلقات تلاوة وتحفيظ كتاب رب العالمين، وتلقى فيها الندوات

(١) سورة النور، الآية:٣٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والخطب والمواعظ والنصح والإرشاد لأمور المسلمين النافعة، قرنها الله بذاته العليا اقتران تشريف وإجلال، وشهد لمن قام بعمارتها بالإيمان(١)، فقال- عزَّ من قائل-: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٢)؛ كما حثَّ المؤمنين على تطهيرها من أدناس الشرك والكفر، وإخلاص العبادة له وحده فيها بقوله سبحانه ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾(٣)، وتوعّد من أفسد فيها بأي أنواع الفساد والخراب بالخزي في الحياة الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤).

وكذا جاءت سنة النبي الكريم -ﷺ- مؤكدة لما ورد في كتاب الله الكريم من آيات تبين فضل المساجد، وتحثُّ على بنائها وإعمارها

(١) ابن دهيش، منيرة عبدالملك، دور المسجد في القرن الأول الهجري في الحجاز والشام دراسة تاريخية حضارية، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ط(١)١٤٢٥هـ،ص٤٢-٤٦.

(٢) سورة التوبة، الآية:١٨.

(٣) سورة الجن ، الآية ١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية:١١٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والعناية بها(١)؛ فقد ورد عنه-ﷺ- قوله: «من بنى مسجدًا لله عز وجل بنى الله له مثله في الجنة»(٢).

ولمَّا خرج النبي-ﷺ- من مكة مهاجرًا إلى المدينة المنورة، وصل أولاً إلى قباء؛ فبنى فيها أول مسجد للمسلمين، وكان بناء المسجد بسيطًا في عهده، ثم توالت عليه عمليات البناء والترميم على مدى العصور الإسلامية المتتابعة، ولا سيّما ما كان في العصر العثماني، ومن هنا نبعت أهمية اختيار موضوع الدراسة لاعتبارات عدَّة تُجمَل في الآتي:

- الأهمية الدينية لمسجد قباء أول مسجد بناه الرسول -ﷺ- في المدينة المنورة.
- إبراز دور الدولة العثمانية في الاهتمام بعمارة المآثر الدينية في المدينة المنورة ومنها مسجد قباء.

(١) مؤنس، حسين، المساجد، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١٩٧٨م، ص٢١، ٢٢.

(٢) ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصر: مؤسسة قرطبة، د.ط، ج(١)، ص٦١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- قلة الدراسات العلمية والبحثية التي تعرضت للحديث عن عمارة السلطان محمود الثاني لمسجد قباء، وكان غالب ما ورد فيها إشارات مقتضبة في المصادر التاريخية وكتب الرحلات.
- اعتماد الدراسة في جُلِّ مادتها العلمية على وثائق عثمانية بلغتها الأصلية لم يسبق أن تم نشرها، وهي ما أعلت من القيمة العلمية للبحث وكشفت تفصيلات وجوانب دقيقة عن العمارة أحجمت المصادر التقليدية عن إيرادها.

الحدود المكانية والزمانية للبحث:

تنحصر هذه الدراسة في حدود مكانية تتبلور في الحديث عن عمارة مسجد قباء الواقع في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة المنورة، ثم إن الفترة الزمنية لهذه الدراسة تشمل جهود السلطان محمود الثاني في عمارة مسجد قباء خلال فترة حكمه التي امتدت فيما بين عامي (١٢٢٣ – ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م).

الدراسات السابقة:

وردت إشارات متفرقة في ثنايا صفحات المصادر التاريخية والدراسات العلمية تتناول جوانب العمارة العثمانية لمسجد قباء في عهد

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السلطان محمود الثاني، ولكن أغلب هذه المعلومات كانت موجزة لم تحوي تفصيلات مستفيضة عن هذه العمارة. فحاولت هذه الدراسة جاهدة لمَّ شتاتها وتأصيل ما ورد فيها مع بسط ما ورد في الوثائق التاريخية من معلومات وتفصيلات دقيقة. ومن أبرز هذه الدراسات:

- كعكي، عبدالعزيز عبدالرحمن، معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ -تاريخ وعمارة المساجد الأثرية- الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ويقع الكتاب في أربعة مجلدات خُصِصَّ جزء من القسم الثالث للحديث عن مسجد قباء وتناول مراحل تطور عمارته منذ بنائه في عهد الرسول -ﷺ- حتى العصر السعودي الزاهر، غير أن الحديث عن عمارة السلطان محمود الثاني اقتصر على الإشارة لتاريخ العمارة، وإضافة بعض الأساطين للمسجد ورواق في الجهة الشمالية منه، وكذلك الإشارة إلى النص التاريخي الذي وُضع أعلى باب المسجد ويحوي على نص باللغة التركية وطغراء للسلطان محمود الثاني. ولذا فإن الدراسة المقدمة ستقدم تفصيلات أوسع عن هذه العمارة.

- عبدالغني، محمد إلياس، المساجد الأثرية في المدينة النبوية، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، تحدث المؤلف في كتابه عن موقع مسجد قباء وسبب تسميته وأهميته الدينية والتاريخية، ثم انتقل للحديث

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عن تأسيسه في عهد الرسول –عليه الصلاة والسلام– ومنها انتقل للحديث عن عمارته في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز –يرحمه الله–(١٤٠٢هـ - ١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢-٢٠٠٥م) وقد أفادت الدراسة المقدمة من هذا الكتاب في الحديث عن موقع مسجد قباء وسبب تسميته وأهميته ، غير أن المؤلف لم يعرض لذكر معلومات عن عمارة السلطان محمود الثاني لمسجد قباء فرغبت الدراسة المقدمة في تتبع مراحل العمارة في تلك الفترة.وسدَّ الفجوة في تلك الدراسة المقدمة بإتمام الحديث عن عمارة مسجد قباء في العصر العثماني.

- جلون، عدنان درويش، مساجد ومصليات العهد النبوي الشريف، ط١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، تعرض مؤلف الكتاب في صفحات كتابه للحديث عن مسجد قباء متناولاً فضائل الصلاة فيه، ثم انتقل للحديث عن عمارة مسجد قباء منذ عهد الرسول – عليه الصلاة والسلام– حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز –يرحمه الله– ولكن دراسته كانت موجزة في عهد السلطان محمود الثاني فرغبت الدراسة المُعدَّة في تقديم تفصيلات أوسع في ضوء المعلومات التي وردت في المصادر والوثائق التاريخية.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية وثيقة الصلة بالموضوع وتناولها بالدراسة والتحليل وصياغة المعلومات وربطها ببعضها، إلى جانب توثيق المادة العلمية من مصادرها وإبداء الرأي والاستنتاج، وكذلك المنهج الوصفي في وصف التطور العمراني لمسجد قباء ثم المنهج التحليلي القائم على قراءة الوثائق التاريخية وتحليل المعلومات الواردة بها واستنطاق مابها من مادة علمية.

شكر وعرفان:

لا يفوتني قبل الولوج إلى مفاتيح هذه الدراسة أن أزجي الشكر والعرفان إلى كل من ساند في إخراج هذه الدراسة بعد شكر المولى- ﷻ- وفي ناصيتهم الأستاذ الفاضل فؤاد بن ضيف الله المغامسي الذي كانت له اليد الطولى -بعد الله -ﷻ- في الوصول إلى وثائق الأرشيف العثماني -فجزاه الله خير الجزاء-، كما أتقدم بخالص شكري للأستاذتين الفاضلتين لبابة ودانية الأطرش الباحثتان في أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول واللتان قامتا بتزويدي بالوثائق عن العمارة العثمانية لمسجد قباء؛ فأسأل الله أن يجزل لهما الأجر والمثوبة، وللأستاذ الفاضل

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

د/ عبدالقادر سطيح عميق شكري وامتناني على ما قام به من العكوف على ترجمة وثائق الدراسة من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية مع ما تكبّد من عناء في صعوبة قراءة بعض الوثائق ونقلها إلى العربية.

خطة الدراسة :

قُسمت هذه الدراسة إلى عدد من العناصر وهي: مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ثم النتائج والتوصيات التي خرجت بها الدراسة؛ وأُلحق بالدراسة ملحق خاص بالأشكال والصور وبعض الوثائق التي عولت الدراسة عليها في استقاء معلوماتها .

المقدمة: وتتناول أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والحدود المكانية والزمانية للبحث ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث.

التمهيد: ويشتمل على:

(أ) موقع مسجد قباء الجغرافي.

(ب) التطور العمراني لمسجد قباء من بنائه حتى العصر المملوكي.

المبحث الأول: العمارة العثمانية لمسجد قباء قبل عهد السلطان محمود الثاني.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني: العمارة العثمانية لمسجد قباء في عهد السلطان محمود الثاني.

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

الملاحق، وتتضمن الصور والأشكال .

***

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التمهيد:

(أ) موقع مسجد قباء الجغرافي:

يقع مسجد قباء في الجنوب الغربي من المدينة المنورة، وسُميَّ بذلك لوقوعه في موضع كان يعرف قديماً بقرية قباء(١)، وأصله اسم بئرٍ هناك عرفت به القرية (٢).

ويقع مسجد قباء اليوم في الركن الجنوبي الشرقي لتقاطع شارع قباء مع طريق مكة المكرمة السريع؛ حيث يحدُّ المسجد من الجهة الغربية امتداد شارع قباء؛ أما من الناحية الشمالية فمسار طريق مكة المكرمة السريع في حين يحُدُّه من الجهتين الجنوبية والشرقية مواقف السيارات التابعة للمسجد، ثم بعض المزارع والمنازل المنتشرة هناك(٣).

(١) الأنصاري، عبدالقدوس، آثار المدينة، د.م..ن،ط١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص٧٧؛ جلون، عدنان درويش، مساجد ومصليات العهد النبوي الشريف،د.م..ن،ط١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م،ص٣٥؛ عبدالغني، محمد إلياس، المساجد الأثرية في المدينة النبوية، د.ن.م، د.ط(٤) ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٥.

(٢) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط(٢)١٩٩٥م، مج(٤)، ص٣٠١.

(٣) كعكي، عبدالعزيز بن عبدالرحمن، معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ-تاريخ وعمارة المساجد الأثرية-، د.ن.م، ط(١)١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ج (٤)، مج (٣)، ص١٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان مسجد قباء يبعد عن المسجد النبوي الشريف ثلاثة أميال(١) كانت فضاءً في عصر النبوة، ولكن العمران اتصل به من المدينة المنورة، وأصبحت قباء أحد أحيائها(٢).

مكانة مسجد قباء الدينية:

يُعدُّ مسجد قباء أول مسجد بُني في الإسلام، وهو المسجد الذي نزل فيه قول الحكيم تعالى في سورة التوبة من الآية ١٠٨ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾.

وكان رسول الله -ﷺ- يأتي إلى مسجد قباء للصلاة فيه بعد استقراره -عليه الصلاة والسلام- في المدينة، وبناء المسجد النبوي الشريف إما راكبًا وإما ماشيًا(٣)، ففي الصحيحين عن ابن عمر- رضي الله عنهما -

(١) الميل: وحدة لقياس الطول تعادل تقريبا ١،٦٠٠متر، والثلاثة الأميال تعادل تقريبا خمسة كيلو مترات .(ويكبيديا، الموسوعة الحرة، استرجع بتاريخ ٦/ ٦/ ١٤٣٩هـ.

(٢) الشنقيطي، غالي محمد الأمين، الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ، تحقيق: محمد أحمد سالم بيبة الشنقيطي، د.م، دار القبلة، ط(١)١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٣٧؛ جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي، ص٣٥.

(٣) ابن النجار، محمد بن محمود البغدادي ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، تاريخ المدينة المنورة المسمى (الدرة الثمينة في أخبار المدينة المنورة)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، المدينة المنورة: دار الزمان، ط(١) ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٣٣؛ كبريت الحسيني، محمد كبريت الحسيني =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال: كان النبي -ﷺ- يأتي قباء راكبًا وماشيًا، زاد عن نمير حدثنا عبيد الله عن نافع ، فيصلي فيه ركعتين(١)، كما وردت بعض الأحاديث التي تذكر أنه -ﷺ- كان يأتي مسجد قباء كل سبت منها ما وراه البخاري "كان النبي -ﷺ- يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا "، وكان عبد الله -رضي الله عنه- يفعله(٢)، والسبب في زيارته لأهل قباء كل سبت أنه -ﷺ- كان يتفقد أهل قباء يوم الجمعة؛ فيسأل عمّن لم يحضر؛ فإذا قيل: إنه مريض ذهب لزيارته السبت (٣)، وقد اقتفى أهالي المدينة هديه -ﷺ-، فساروا على نهجه في زيارة مسجد قباء كل سبت(٤).

=

المدني ت١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق: أحمد سعيد بن سلم، دن.م، ط١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص١٧٩؛ العباسي، أحمد عبد الحميد ت القرن ١٠هـ، عمدة الأخبار في مدينة المختار، المدينة المنورة: مكتبة النمنكاني، د.ط، ص١٦٧.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٧م، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط(٣)١٤٠٧هـ،ج(١)، ص٣٩٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج(١)، ص٣٩٩. وعبدالله : يعني عبدالله بن عمر.

(٣) كبريت الحسيني، الجواهر الثمينة، ص١٧٩.

(٤) السمهودي، نور الدين علي بن عبدالله ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م،وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط(١) ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج(٣)، ص١٤٦؛ الشنقيطي، الدر الثمين، ص١٣٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن فضائل مسجد قباء أيضًا أنَّ الصلاة فيه كأجرة عمرة إلى بيت الله الحرام سواء أكانت هذه الصلاة فريضة أو نافلة(١)، فقد قال-ﷺ: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»(٢).

ونظرًا لأهمية مسجد قباء ومكانته الدينية فقد حرص صحابة رسول الله- عليه الصلاة والسلام- على زيارته، والصلاة فيه؛ فعن عمر ابن الخطاب-رضي الله عنه- أنه قال: لو كان مسجد قباء في آفاق لضربنا إليه أكباد المطي(٣) ، وعن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه-(٤) قالت:

(١) أمحزون، محمد، المدينة المنورة في رحلة العياشي، الكويت: دار الأرقم، ط(١) ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٠٨؛ عبد الغني، محمد إلياس، تاريخ المدينة المنورة، د.ن.م، ص٤٦.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ت٣٦٠هـ/ ٩١٨م،المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الموصل: مكتبة الزهراء، ط(٢)١٤٠٤هـ، ج (١)، ص٢١٠.

(٣) الفيروز آبادي، مجد الدين أبي الظاهر محمد بن يعقوب ت٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م،المغانم الُمطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة،ط١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ،ص٣٢٩؛ العباسي، عمدة الأخبار،ص١٦٨؛ أمحزون، المدينة،ص١٠٧.

(٤) عائشة : بنت سعد بن أبي وقاص من بني زُهرة ولدت سنة٣٣هـ/ ٦٥٣م ، من ثقات روايات الحديث روت عن أبيها وغيره وروى لها البخاري والترمذي والنسائي وأبو داود. كانت إقامتها بالمدينة المنورة. رأت ستا من أمهات المؤمنين. وأخذ عنها عدد من العلماء. توفيت سنة ١١٧هـ/ ٧٣٥م. (الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان قايماز ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط(١) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج(٧)، ص٣٩٢؛ الصفدي، صلاح الدين بن أيبك ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، كتاب =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سمعت أبي يقول: لأنْ أصلي في مسجد قباء ركعتين أحبُّ إليَّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل[١].

(ب) التطور العمراني لمسجد قباء من بنائه حتى العصر المملوكي:

لـمَّـا سمع الأنصار بخروج الرسول- عليه الصلاة والسلام-من مكة المكرمة قادمًا إلى المدينة المنورة استعدُّوا لملاقاته؛ فكانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر الحرَّة[٢] ينتظرون مجيء الرسول-ﷺ-، ويظلُّ هؤلاء الأنصار على حالهم هذه من الترقب والانتظار حتى تشتد حرارة الشمس؛ فيعودون إلى منازلهم، وكان ذلك في أيام حارة[٣]؛ وحدث أن خرج الأنصار في اليوم الذي قدم فيه الرسول -ﷺ-المدينة

=

الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط(١) ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج(١٦)، ص٣٤٧.

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج(٣)، ص٨٠٢؛العباسي، عمدة الأخبار، ص١٦٧؛ أمحزون، المدينة، ص١٠٧، ١٠٨.

(٢) الحرَّة: حرة قباء قبلي المدينة.(الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٠٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، د.م.ن، ج(١)، ص٤٩٢؛ المراغي، زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبو الفخر ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق: محمد عبدالجواد الأصمعي، المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ط(٢) ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٣٣؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج(١)، ص٤٢٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فلما اشتد حرُّ الشمس عليهم عادوا لبيوتهم كما يفعلون كل يوم، فإذا برسول الله- عليه الصلاة والسلام- وصاحبه الصديق-رضي الله عنه-يقدم المدينة مهاجرًا من مكة؛ فكان أول من رآه رجل من اليهود، فما إن رآه حتى صرخ بأعلى صوته يا بني قيلة[١] هذا جدُّكم -يعني حظكم- قد جاء[٢].

ولما دخل-عليه الصلاة والسلام-المدينة نزل عند بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهِدْم[٣]، وقيل: سعد بن خَيْثَمَة[٤]، وكان سعد عزبًا؛

(١) قيلة: الأنصار جميعًا من الأوس والخزرج، وقيلة: جدة كانت لهم. (القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ص٣٦٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج(١)، ص٤٩٢؛المراغي، تحقيق النصرة، ص٣٣؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج(١)، ص٤٢٤.

(٣) كلثوم بن الهِدْم: بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . نزل عليه الرسول-صلى الله عليه وسلم-بقباء أول ما قدم بالمدينة، وكان قد شاخ، كان رجلًا شريفًا أسلم قبل مقدم النبي-صلى الله عليه وسلم- للمدينة. (الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م،سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط(٩)١٤١٣هـ، ج(١)، ص٢٤٢؛ ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار صادر، ط(١) ١٣٥٨هـ، ج(٣)، ص٨٣.

(٤) سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم أحد بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، أبو عبد الله الأنصاري الأوسي البدري، أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار. استشهد يوم بدر. (ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فكان-ﷺ- يجلس مع أصحابه في بيته، فنزل على كلثوم وكان يتحدث في منزل سعد(١)، وكان -ﷺ- عند خروجه من منزل كلثوم بن الهدم يخرج المهاجرون من دار كلثوم ويجلسون في دار سعد بن خيثمة؛ لأنه كان أعزبا لا أهل له(٢).

- **بناء الرسول-ﷺ- لمسجد قباء:**

تعددت أقوال المؤرخين في تحديد اليوم الذي قدم فيه-عليه الصلاة والسلام- إلى المدينة، ولكن أجمعت أقوال الأغلب منهم على أنَّ يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول من الهجرة النبوية المباركة الموافق الثامن والعشرين من يوليو لسنة ستمائة واثنين وعشرين من ميلاد عيسى- عليه السلام - شهد دخوله – عليه الصلاة والسلام- قباء(٣).

=

أبو عبدالله البصري الزهري ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م، الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، ج(٣)، ص٤٧١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج(١)، ص٢٦٦.

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج(١)، ص٤٢٦؛ كبريت الحسيني، الجواهر الثمينة، ص١٨٠؛ الشنقيطي، الدر الثمين،ص١٣٣؛ جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي، ص٥٤.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج(١)، ص٤٢٦.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج(١)، ص٤٢٧؛ بكر، سيد عبد المجيد، أشهر المساجد في الإسلام، د.م..ن، د.ط، ج(١)، ص١٩٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان-عليه الصلاة والسلام- قد مكث عند بني سالم بن عوف أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وركب يوم الجمعة يريد المدينة(١).

وقد وقع اختيار الرسول الكريم-ﷺ- على بقعة من الأرض بقباء ليبني عليها المسجد كانت في الأصل مكانًا لكلثوم بن الهدم خصَّصه صاحبه لتجفيف التمر وتخزينه(٢)، ثم اتخذه -ﷺ- مسجدًا له على تحويطته بالبناء التي كانت عليه وهو عبارة عن سور من حجارة الحرة، وجعل محرابه إلى بيت المقدس كما كانت من قبل، ثم بناه بنو عمرو بن عوف، ورفعوا عنه صفة المربد(٣)، ويظهر أنه لم يكن لمسجد قباء أروقة مغطاة عند بداية إنشائه، ولعل قصر الفترة الزمنية التي مكث بها الرسول

(١) الفيروز آبادي، المغانم المطابة،ص٣٢٨؛ كبريت الحسيني، الجواهر الثمينة، ص١٨٠؛ العياشي، إبراهيم بن علي ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م،المدينة بين الماضي والحاضر، د.م، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، ص٢٣٤.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج(١)،ص٤٣٣،٤٣٤؛ عبدالغني، تاريخ المدينة، ص٤٦؛ كعكي، معالم المدينة، ج(٤)، مج(٣)، ص١٨؛ الفايدي، تنيضب، تاريخ طيبة خير القرون، د.م..ن، ط(١) ١٤٣٤هـ، ص٣٢٠،٣٢٣.

(٣) العياشي،المدينة،ص٢٣٣؛ جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي،ص٥٧؛ مصطفى، صالح لمعي، المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، بيروت: دار النهضة العربية، ط١٩٨١م، ص١٦٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

-ﷺ-، والتي لم تتجاوز أربعة أيام لم تمكنه من عمل سقيفة(١)؛ غير أن ابن زبالة(٢) ذكر أنه كان لمسجد قباء على عهد الرسول-ﷺ-صُفَّة(٣) من سبعة أساطين(٤) يُرجح أن تكون رواقا واحدًا، وكان هذا الرواق

(١) مصطفى، المدينة تطورها العمراني، ص١٦٣؛ جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي، ص٥٧.

(٢) ابن زبالة: محمد بن الحسن بن أبي الحسن القرشي المخزومي المدني، أبو الحسن، وقيل أبو عبد الله، ويعرف بابن زَبَالة . فقيه من أصحاب مالك بن أنس- رضي الله عنه- أحد كبار الأخباريين الذين برزوا في القرن الثاني الهجري، كما أنه يعدُّ أول من صنف كتابا شاملا في أخبار المدينة المنورة. كان له باع طويل في حفظ الأخبار ووصف الأماكن والديار، من أشهر مؤلفاته: "أخبار المدينة المنورة"، و"مثالب الأنساب"، و"أزواج النبي ﷺ"، ولم أقف على تاريخ محدد لسنة وفاته غير أنه كان حيًا سنة ١٩٩هـ، (حاجي خليفة ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م، كشف الظنون عن أسامي الفنون، د.م، دار الفكر، ط١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٩؛ البغدادي: إسماعيل باشا ت١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الفنون، بغداد: مكتبة المثنى، د.ط، ج(٢)، ص٩؛ وذكر أنه توفي في حدود سنة مائتين ؛كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط(١)١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج(٣)، ص٢١٩.

(٣) الصفة من البنيان: شبه البهو الواسع طويل السَّمْك.(ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ت٧١١هـ/ ١٣١١م، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط(٣) ٢٠٠٤م، ج(٨)، ص٢٥٣.

(٤) ابن زبالة، محمد بن الحسن ت١٩٩هـ/ ٩١٤م،أخبار المدينة، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبدالعزيز سلامة، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة، ط(١) ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٣٩؛ مصطفى، المدينة تطورها العمراني، ص١٦٣؛ جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي، ص٥٧. والأساطين: مفردها الأسطوانة: العمود والسارية وهو جسم صلب من =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في الجهة الغربية من الجدار الشمالي محمول على جذوع النخل(١).

كان- عليه الصلاة والسلام- أول من أرسى دعائم المسجد؛ فوضع حجرًا في قبلته، وتبعه الصديق-رضي الله عنه- فوضع حجرًا، ثم جاء الفاروق -رضي الله عنه- فوضع حجرًا ثالثًا، ولم يلبث الصحابة – رضوان الله عليهم- من المهاجرين والأنصار أن تسابقوا لحمل الحجارة وإتمام ما بدأ به -صلى الله عليه وسلم- وصاحبيه-رضي الله عنهما- كل ذلك بمشاركة من الرسول، ثم بإشراف ومتابعة منه -صلى الله عليه وسلم-؛ حتى أصبح مسجد قباء مهيّأً للصلاة فيه(٢)، ودليل ذلك ما رواه الطبراني(٣) عن جابر-رضي الله عنه- قال: لما قدم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- المدينة قال

=

الحجر أو الرخام أو أي مادة أخرى متماسكة صالحة للبناء ذو طرفين متساويين على هيئة دائرتين متطابقتين تحصران مسطحا دائريا أو ملفوفا وينتهي طرفاه في محيط هاتين الدائرتين، وأساطين المسجد كانت في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-من جذوع النخل ثم وضعت الأساطين محل جذوع النخل. (رزق، عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م،ص١٧.

(١) جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي، ص٥٧.

(٢) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٣٢٩؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج(١)، ص٤٣٦.

(٣) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشامي، أبو القاسم، ولد سنة٢٦٠هـ/ ٨٧٣م بعكا بفلسطين، عرف بالطبراني نسبة إلى طبرية بالشام، أحد علماء وأئمة أهل السنة والجماعة وأحد رواة الحديث وعلمائه المشهورين، من أشهر مؤلفاته: "المعجم

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لأصحابه: انطلقوا بنا إلى أهل قباء نُسلِّم عليهم فأتاهم، فسلَّم عليهم، فرحبوا به ثم قال: يا أهل قباء إيتوني بأحجار من هذه الحرة فجُمعت عنده أحجار كثيرة، ومعه عَنَزَة[١] كانت له فخطَّ قبلتهم، فأخذ حجرًا فوضعه رسول الله -ﷺ- ثم قال: يا أبا بكر خذ حجراً فضعه إلى حجري، ثم قال: يا عمر، خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال: يا عثمان خذ حجرًا فضعه إلى حجر عمر، ثم التفت إلى الناس؛ فقال: ليضع كل رجل حجرة حيث أُحبُّ على ذلك الخطِّ[٢]، ويتضح من ذلك أن النبي -ﷺ- أسسه عند قدومه المدينة، ثم بناه بعد قدوم عثمان بن عفان -رضي الله عنه- من الحبشة[٣]، ومعنى ذلك أن عثمان حضر البناء ولم يحضر التأسيس بزمن[٤]،

=

الكبير" و"المعجم الأوسط". توفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م. (ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء ت٧٧٤هـ، البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، ج(١١)، ص٢٧٠.

(١) عنزة: العنزة: عصا في قدر نصف الرُّمح أو أكثر شيئًا قليلاً فيها سنان مثل سنان الرمح. (الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م،كتاب العين، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١) ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، مج(٣)، ص٢٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج(١٠)، ص٣٠٠.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج(١)،ص٤٣٦.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج(١)،ص٤٣٦، ٤٣٧.

(٤) العياشي، المدينة، ص٢٣٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما روى الطبراني في الكبير عن الشموس بنت النعمان[١] قالت: نظرت إلى رسول الله حين قدم ونزل، وأسّس هذا المسجد مسجد قباء، فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يَهْصِرَه الحجر[٢]، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سُرَّته؛ فيأتي الرجل من أصحابه، ويقول: بأبي وأمي يا رسول الله! أعطني أَكْفِك؛ فيقول: لا، خذ حجراً مثله حتى أسسه، ويقول: إنَّ جبريل -عليه السلام- هو يؤمُّ الكعبة قالت: فكان يقول: إنه أقوم مسجد قبلة[٣]، ثم أسسه ثانيًا بعد تحويل القبلة[٤].

ويرجح أن السبب في اختياره -ﷺ- مربد كلثوم بن الهدم لبناء المسجد عليه، هو أن المسلمين من الأنصار والمهاجرين من مكة الذين

(١) الشموس بنت النعمان: بن عامر بن مجمع بن الأوس، من المبايعات للرسول-ﷺ- حضرت معه-ﷺ- حين أسس مسجد قباء. تزوجها أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج(٨)، ص٣٤٦؛ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي السبتي السجستاني ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م،الثقات،تحقيق:السيد شرف الدين أحمد، بيروت: دار الفكر، ط١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ج(٣)، ص١٩٠؛ ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت٨٥٢هـ/ ١٢٠١م، الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط(١)١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج (٧)، ص٧٣١.

(٢) يهصره الحجر: أي يجعله يميل من ثقله.(ابن منظور، لسان العرب، ج(١٥)، ص٦٧.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج(٢٤)، ص٣١٨؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج(١)، ص٤٣، ٤٣٨.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص ١٣٨؛ الفايدي، تاريخ طيبة، ص٣٢٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قدموا المدينة قبله -ﷺ- كانوا يصلون في هذا الموضع يؤمهم الصحابي مصعب بن عمير -رضي الله عنه-(١).

لم تفض المصادر التاريخية في الحديث عن المواد التي تم استخدامها في بناء المسجد، ولكن يمكن القول: إن غالب ما استخدم في البناء الحجارة المجلوبة من الحرة استنادًا إلى الأحاديث الواردة عن الرسول-ﷺ- حين طلب من الصحابة- رضوان الله عليهم- أن يأتوه بالحجارة من هذه المنطقة.

ولعل ممَّا يرتبط بتواضع وبساطة البناء أنه-ﷺ- لم يجعل لمسجد قباء مئذنة يؤذن عليها للصلاة، ولم يجعل له محرابًا ولا منبرًا(٢)، ولعل السبب في ذلك راجع إلى أنه -ﷺ- لم يُصلِّ في قباء الجُمع والأعياد التي تحتاج إلى منبر لإلقاء الخطبة عليها؛ فقد كانت الجمع والأعياد تقام في المسجد النبوي الشريف.

وعوضًا عن المئذنة فقد كان لمسجد قباء درجة لها قبة يؤذن فيها يقال لها النعامة داخل المسجد اعتقد البعض أنها مبرك ناقة النبي ﷺ(٣).

(١) الشنقيطي، الدر الثمين، ص١٣٣.

(٢) العباسي، عمدة الأخبار، ص١٦٤.

(٣) ابن زبالة، أخبار المدينة، ص١٣٩؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- **عمارة وتوسعة مسجد قباء عبر العصور الإسلامية:**

حظِي مسجد قباء بعنايةٍ ورعايةٍ كبيرة من لدن خلفاء وحكام البلاد الإسلامية على مر العصور التاريخية ؛ وتكاد تجمع المصادر التاريخية على أنَّ أول عمارة لهذا المسجد بعد بناء الرسول-ﷺ- كانت على يد الخليفة الراشد عثمان بن عفان-رضي الله عنه- (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤-٦٥٦م)؛ حيث زاد في مساحة المسجد في الموضع الذي ما بين المئذنة إلى القبلة؛ أي: في حدود مسجد الرسول-ﷺ-من الجهة الشمالية(١)،ويمكن القول إن زيادة عثمان بن عفان - رضي الله عنه- حافظت على البناء المعماري للمسجد البسيط؛ كما كان عليه في عهد الرسول-ﷺ-(٢)،كما اسُتبدلت أعمدته الخشبية بأعمدة حجرية(٣).

وفي عهد الدولة الأموية شهد مسجد قباء العمارة الثانية له، عندما أرسل الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)(٤)

---

(١) العياشي، المدينة، ص٢٣٦.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٤؛ العياشي، المدينة، ص٢٣٦؛ الأنصاري، آثار المدينة، ص٨٠؛ بكر، أشهر المساجد، ج(١)، ص١٩٢.

(٣) جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي، ص٥٨.

(٤) الوليد بن عبد الملك: بن مروان، أبو العباس، تولى حكم الدولة الأموية بعد وفاة أبيه ، سيّر القوات الإسلامية للفتوحات في الشمال الإفريقي، امتدت في زمنه حدود الدولة الإسلامية إلى =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلى وَالِيه على المدينة آنذاك عمر بن عبد العزيز[١]؛ للقيام بعمارته فكان ممَّا أضاف له عمر بن عبد العزيز أن جعل له مئذنة، كانت أول مئذنة تُبنى له وكان لها باب يفتح على الصحن من جهة الجنوب، وقد بنيت هذه المئذنة في موضع أطم لبني عمرو بن عوف، ومن المرجح أن يكون هذا الأطم قد استعمل في إعلام الناس بوقت دخول الصلاة قبل بناء هذه المئذنة[٢]،

=

بلاد الهند وتركستان وأطراف الصين شرقًا، وكان مولعًا بالبناء والعمران، فشقَّ الطرق وأصلحها وحفر الآبار، واستحدث المستشفيات في الإسلام، وأنشأ منازلًا للغرباء ينزلون بها، وعمّر المسجد النبوي، وبنى المسجد الأقصى، وصفح الكعبة والميزاب، وبنى مسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموي سنة ٨٨هـ/ ٧٠٧م، وأتم البناء أخوه سليمان. توفي سنة ٩٦هـ/ ٧١٥م، ودفن بدمشق بعد أن حكم ٩ سنوات و٨ أشهر. (ابن الأثير، أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م، الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، مج(٤)، ص٢٤٠، ٢٤٦، ٢٧٨، ٢٩١.

(١) عمر بن عبد العزيز: بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص ، أطلق عليه خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، وهو من خلفاء الدولة الأموية المروانية بالشام، ولد ونشأ بالمدينة ٦٣هـ/ ٦٨١م وتولى إمارتها في عهد الوليد، ثم أصبح وزيرًا لسليمان بن عبد الملك بالشام، وتولى الخلافة بعده سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م. توفى سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠م بدير سمعان من أرض المعرة، ومدة خلافته سنتان ونصف. (ابن الأثير، الكامل، مج(٤)، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٧٨، ٣١٢، ٣٢٦؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م، تاريخ مدينة دمشق، ذكر فضلها ومن حلَّها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، بيروت: دار الفكر، ط١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج(٤٥)، ص١٢٦-١٣٠.

(٢) مصطفى، المدينة تطورها العمراني، ص١٦٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما جعل عمر بن عبدالعزيز رحبة وأروقة حول صحن المسجد لها أعمدة بُنيت من الحجر وفي وسطها الحديد المغطى بالرصاص المصهور(١)، وجعل سقف المسجد من خشب الساج(٢) ونقش جدار المسجد بالجص وزخرفه بالفُسيفاء(٣)، وكانت زيادة الوليد للمسجد من جهة القبلة(٤)، وقد تحدث السمهودي(٥) عن مساحة مسجد قباء بعد

(١) الأنصاري، آثار المدينة، ص:٨٠؛ طراوة، حجازي حسن علي، إمارة عمر بن عبدالعزيز على المدينة المنورة-دراسة تاريخية وحضارية-، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط(١) ٢٠٠٩م، ص٢١٨، وأضاف طراوة أن عمر عمل حوض لجلب مياه الشرب للزائرين لهذا المسجد؛ كعكي، عبدالعزيز عبدالرحمن، النسيج العمراني للمدينة المنورة الخصائص والمقومات، المدينة المنورة: اللجنة التنفيذية لتطوير المنطقة المركزية،ط٢٠٠٧م، ص٣٣.

(٢) الساج: شجر عظيم طويل عريض صلب الخشب أسود.(مسعود، جبران، الرائد، بيروت: دار العلم للملايين، ط(٣) ٢٠٠٥م ، ص٤٧٤.

(٣) الفسيفساء: قطع صغار ملونة من الرخام أو غيره يضم بعضها إلى بعض في الحيطان أو في الأرض ،فتتكون منها صور وأشكال فنية متنوعة.(مسعود، الرائد، ص٦٦٧.

(٤)ابن النجار، الدرة الثمينة،ص٢٣٧؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)،ص١٥٥؛النهراوني، قطب الدين محمد بن علاء الدين بن علي بن أحمد ت٩٨٨هـ/ ١٥٨١م ،تاريخ المدينة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١) ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص١١٦؛ الأنصاري، آثار المدينة، ص٨١،٨٠؛ الخياري، أحمد ياسين الخياري الحسيني المدني ت١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، تاريخ معالم المدينة قديما وحديثا، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١٦٧؛ البرادعي، أحمد محمد صالح الحسيني، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١) ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م، ص٢٣.

(٥) السمهودي: علي بن عبد الله بن أحمد بن علي الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن: مؤرخ =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

زيادة الوليد له؛ فقال: بأنه مربع الشكل طول ضلعه ٦٦ ذراعًا، وطول الصحن المكشوف ٥٠ ذراعًا، وعرضه ٢٦ ذراعًا، ومئذنة مربعة الشكل طول ضلعها ٩ أذرع، وارتفاعها ٥٠ ذراعًا، ولها باب بالجهة الجنوبية، أما سقف المسجد فقد بلغ ارتفاعه ١٩ ذراعًا (١).

وقد قُدرت هذه المقاييس بالأمتار؛ فبلغ طول الضلع ٠٠ ,٣٣ متراً وطول الصحن المكشوف ٢٥ مترًا، وعرضه ١٣ مترًا، أما المئذنة المربعة الشكل فطول ضلعها٥ , ٤مترًا، وارتفاعها٢٥مترًا، وارتفاع سقفه٥ , ٩مترًا(٢).

=

ومفتي ولد في سمهود بصعيد مصر سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م ونشأ بالقاهرة. وحفظ القرآن ثم قدم المدينة وسكن بها سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م توفي سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٦م من كتبه: "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى" و"خلاصة الوفا" و"جواهر العقدين" و"در السموط". (العيدروس، عبدالقادر ابن عبدالله ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م،النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، بيروت: دار صادر، ط(١) ٢٠٠١م، ص٩٤-٩٨؛ ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١) ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج(٨)، ص٨٥-٨٧؛ الشوكاني، محمد ابن علي ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١) ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج(١)، ص٣٢٢.

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، وذكر العباسي أنه ذرَّع مسجد قباء؛ فقال: وقد ذرعته وهو ستون ذراعًا طولًا وعرضًا، وهو مربع، وبركنه الغربي منارة عالية في الهواء، ص١٦٩؛ مصطفى، المدينة تطورها العمراني، ص١٦٤.

(٢) مصطفى، المدينة تطورها العمراني،ص١٦٤؛ مالكي، سليمان عبدالغني، بلاد الحجاز منذ =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما جُدّد بناء مسجد قباء في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(١٣٦ -١٥٧هـ/ ٧٥٣-٧٧٥م)[١] ، وفي سنة ٣٤٥هـ/ ١٠٤١م شهد مسجد قباء بعض الإصلاحات من قبل الشريف الحسيني أبو يعلى أحمد بن الحسن على يد الشريف حسن المسلم[٢]، وقد عُثر على أحد الأحجار المنقوشة بالخط الكوفي داخل المسجد فوق المحراب بطاقة الكشف[٣]، نُقش عليه تاريخ هذه العمارة[٤].

=

بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)، د.م.ن، ط(٢)١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٧٦.

(١) المنصور: عبد الله بن محمد بن علي بن العباس أبو جعفر المنصور، ثاني خلفاء الدولة العباسية، ولد في الحميمة (قرب معان) تولى الخلافة بعد أخيه السفاح . كان عارفًا بالفقه والأدب والفلسفة والفلك، محبًا للعلماء، بنى مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، ونقل إليها عاصمة ملكه بدلًا من الهاشمية، كما قام بزيادة في المسجد الحرام، توفي محرمًا بالحج ودفن بالحجون بمكة ١٥٨هـ/ ٧٧٥م، ومدة خلافته ٢٢ عامًا.(البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن الخطيب ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، تاريخ بغداد، د.م.ن، د.ط، ج(١٠)،ص٥٣،٥٤،٦١.

(٢) مصطفى، المدينة تطورها العمراني، ص١٦٤؛ بدر، عبدالباسط ،التاريخ الشامل للمدينة المنورة، د.م.ن، ط١٤١٤هـ، ج(٣)، ص٢٨٧؛ الأنصاري، آثار المدينة، ص٧٨؛ جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي، ص٥٨.

(٣) طاقة الكشف: كان يقع على جدار مسجد قباء القبلي يسار المحراب للمتوجه إلى القبلة. سُميَّ بذلك لأن جبريل -عليه السلام- كشف للرسول -صلى الله عليه وسلم- الكعبة وتم تحديد القبلة. وقد أزيل سنة١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥-١٩٢٦م.http://www.ezzman.com استرجع بتاريخ ٥/ ١/ ١٤٣٩هـ.

(٤) الأنصاري، آثار المدينة، ص٧٨، ٨١، وقد نقل نص ما كُتب على هذا الحجر"بسم الله

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي منتصف القرن٦هـ/ ١٢م امتدت يد الإصلاح والتجديد لهذا المسجد على يد جمال الدين الأصفهاني(١)، وقد أرَّخت المصادر التاريخية لهذا التجديد بسنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م(٢)، وتوالت عمليات الترميم والإصلاح لمسجد قباء بتعاقب الأزمان والعصور، وتوالي

=

الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ التوبة، الآية:١٨ أمر بعمارة مسجد قباء الشريف أبو يعلي أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن- ﷺ- ابتغاء ثواب الله وجزيل عطائه...على الشريف حسن المسلم... بن عبد الله بن مالك في سنة ٤٣٥هـ"؛ ويعتقد الأنصاري أن هذا الحجر نقل من بابه إلى المحراب أثناء عمارة المسجد التي حصلت له. (آثار المدينة،ص٧٩.

(١) جمال الدين : أبو جعفر محمد علي بن أبي منصور الأصفهاني، كان وزير الملك العادل عماد الدين زنكي ثم استوزه بعده ابنه غازي، ضُرب به المثل في الجود والكرم والإحسان إلى أهالي الحرمين الشريفين، كانت له عمارات بالحرمين الشريفين منها: بناء الرباط المقابل لباب جبريل -عليه السلام- بالمسجد النبوي الشريف المعروف برباط الأصفهاني، توفي سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م. (ابن فرحون، أبو محمد عبدالله بن محمد ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م،تاريخ المدينة المنورة المسمى "نصيحة المشاور وتعزية المجاور"، قابل أصوله وعلق عليه: حسين محمد علي شكري، د.م، دار الأرقم،د.ط،ص٢١٧؛ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق؛ إحسان عباس، بيروت: دار صادر،١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج(٥)، ص١٤٣-١٤٥.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٥؛ العباسي، عمدة الأخبار، ص١٦٦؛ الأنصاري، آثار المدينة، ص٨٢؛ البرادعي، المدينة، ص٢٣؛ بكر، أشهر المساجد، ج(١)، ص١٩٢؛ كعكي، النسيج العمراني، ص٣٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحكام والملوك حتى جاءت سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م فحصلت بعض الإصلاحات للمسجد(١)، ويستدل على ذلك بما ذكره السمهودي أنه وُجد كتابات على محراب الدكة الواقعة بالرواق الذي يلي الرحبة تدل على أن هناك بعض التجديدات له في هذه السنة(٢)؛ دون توضيح من الذي قام بالتجديد.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول اجتهادًا: إن العمارة التي حدثت سنة٦٧١هـ يرجح أن يكون للسلطان المملوكي بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠م-١٢٧٧م)(٣) دورٌ فيها مستندين في ذلك إلى قيامه

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٥؛ الخياري، تاريخ معالم المدينة، ص١٦٧؛ الأنصاري، آثار المدينة، ص٨٢؛ الزهراني، سارة أحمد، الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة، ط١٤٣٦هـ، ص٣١٨.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٥؛ زيدان، يسري أحمد عبدالله، عمران المدينة المنورة في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ -٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر في المدينة المنورة، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية ١٤٣١هـ/ فبراير٢٠١٠م، ج (٢)، ص٢٢.

(٣) الظاهر بيبرس: ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبدالله العلائي البندقداري الصالحي النجمي، ولد بأرض القبجاق، ثم أُسر فبِيع في حلب ثم القاهرة فدخل في خدمة الملك الصالح نجم الدين الذي أعتقه، وفي أيام الملك المظفر قطز أصبح أتابك للعسكر ،ثم قتله وتولى حكم مصر والشام =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالحج سنة٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م وزيارة المدينة المنورة واطلاعه على مسجد قباء وحاجته للعمارة والترميم(١).

ويحظى مسجد قباء في سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م بتجديدات أخرى على يد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون خلال فترة حكمه الثالثة (٦٩٣-٧٤١هـ/ ١٢٩٤-١٣٤٠م)(٢). وقد أمكن الاستدلال على

=

سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م ولُقب بالقاهر ثم الظاهر، له حروب كثيرة مع التتار والصليبين. توفي بدمشق ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م،(ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج(٤)، ص١٥٥؛ ابن عبد الظاهر: محيي الدين أبو الفضل عبدالله ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٩م، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، الرياض، د.ن، ط١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص٤٦، ٤٧، ٤٧٣.

(١) زيدان، عمران المدينة، ج (٢)، ص٢٢؛ كعكي، النسيج العمراني، ص٣٣.

(٢) الناصر محمد بن قلاوون: بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح، حكم مصر والشام سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، وخُلع منها لحداثة سنه عام٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، ثم أعيد إلى السلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م كالمحجور عليه، والأعمال في يد الأستادار الأمير بيبرس الجاشنكير ونائب السلطنة الأمير سلاّر، واستمر نحو عشرين سنة كذلك حتى ضاق بهما ذرعـًا، فأظهر أنه يريد الحج، فخرج إلى الكرك ومكث بها عامـًا، ثم عاد إلى مصر وقاتل بيبرس الذي نصب سلطانـًا على مصر والشام عقب خروجه سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م فقتله، وعاد لحكمه سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، واستمر ٣٢ سنة وشهرين و٢٥ يومـًا، له آثار عمرانية ضخمة بمصر، منها الترعة المحمودية، والخليج الناصري، توفي بالقاهرة سنة٧٤١هـ/ ١٣٤١م.(ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن بن يوسف الأتابكي ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: جمال محمد محرز وفهيم محمد شلتوت، القاهرة: الهيئة الصرية

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذه التجديدات من خلال النقش الذي وُجد داخل المسجد مؤرخًا لهذه العمارة؛ كما أشار بذلك السمهودي "وبالمسجد منقوش أيضًا ما يقتضي أن الناصر بن قلاوون جدَّد فيه شيئًا سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م[١]، وقد شملت تجديدات الناصر الأسطوانات وبعض الأقسام الأخرى بالمسجد[٢].

كما لقي مسجد قباء عناية كبيرة من السلطان المملوكي الأشرف شعبان (٧٦٤ -٧٦٧هـ/ ١٣٩٢-١٣٦٥م)[٣]، تجلت مظاهرها في

=

العامة للتأليف والنشر، ط١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج(٨)، ص١١٤،٤١؛ المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، د.م، دار الحكمة، د.ط، ج(١)، القسم الثالث، ص٧٢٨،٧٢٧، ج(٢) القسم الأول،ص٧٢؛ ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م، الدرر الكامنة بأعيان المائة الثامنة، بيروت: دار الجيل، د.ط، ج(٤)،ص١٤٤ .

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٥؛ كعكي، النسيج العمراني، ص٣٣؛ زيدان، عمران المدينة، ج(٢)، ص٢٢.

(٢) البرادعي، المدينة، ص٢٣.

(٣) الأشرف شعبان: بن حسين الملك الناصر محمد بن قلاوون، تولى الحكم سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٩٢م وفي فترة حكمه تعرضت الإسكندرية لغارات الصليبيين سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م وعندما أراد الحج سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥ ثار عليه مماليكه في طريق الحج فعاد من طريقه ثم قتلوه. كانت له منشآت كبيرة واتصف بالعدل والحكم ومحبة الناس وكثرة البر والصدقات. (السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م، حسن المحاضرة في

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تخصيص عمال معنيين بصيانته، ومنع أرباب التهم والفساد من الدخول إليه، كما خصص له بوَّابًا لفتح بابه وإغلاقه وحدد له راتبًا شهريًا بلغ ٤٠ درهمًا، وكذلك أمر بتحديد مبالغ مالية لشراء احتياجات المسجد من الكيزان(١) والأباريق والمواعين(٢)، وصلت إلى ١٥٠درهمًا. كما خصص السلطان الأشرف مبلغ ٣٠٠ درهمًا سنويًا لعمارة مسجد قباء وترميمه، فإن لم تكن هناك حاجة لترميمه يصرف ذلك المبلغ فيما يعود بالنفع والفائدة حسب ما يراه الناظر؛ كزيادة المبلغ المخصص للبواب وغيره من العاملين(٣).

=

تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.م، دار إحياء الكتب العربية، ط١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج(٢)، ص١١٨-١٢٠؛ ابن إياس، محمد بن إياس الحنفي ت٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م، بدائع الزهور في وقائع الزهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج(١)، القسم الثاني، ص٣،٤.

(١) الكيزان: إناء بعروة يشرب به الماء. (مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، طهران: المكتبة العلمية، د.ط، ج(٢)، ص٨٠.

(٢)القحطاني، راشد بن سعد، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط(١)١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٣١٨،٣١٩؛ الزهراني، الحياة الاجتماعية، ص٣١٩.

(٣)القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان ، ص١٢٨،١٢٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان السلطان المملوكي برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧م)[١] قد عقد العزم في سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م على تقديم خدمة جليلة لمدينة رسول الله- ﷺ-؛ فكان ممّا أمر به شيخ خدامه آنذاك ابن قاسم المحلي[٢] بتجديد سقف مسجد قباء[٣]، وقد ظلَّ حتى زمن السمهودي بقوله: "وجدد غالب سقفه الموجود اليوم الأشرف

(١) برسباي الدقماقي: الظاهري أبو النصر، ولد سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م، كان من مماليك الأمير دقماق المحمدي، فأهداه إلى الظاهر برقوق فأعتقه واستخدمه في الجيش، ثم تولى نيابة طرابلس الشام في أيام المؤيد شيخ بن عبد الله، ثم اعتقل مدة طويلة، في زمن حكم ولد الصالح محمد بن ططر، كان المدبر لأمر الدولة، ثم خلع الصالح وتولى هو الملك، ولقب نفسه بالأشرف سنة٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، واستمر في الحكم حتى توفي سنة ٨٤١هـ/ ١٤٢١م، كان له بمصر آثار ومنشآت عمرانية كثيرة.(السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م،التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ج(١)، ص٢١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج(٢)، ص٧٧،١٧١.

(٢) ابن قاسم المحلي: ولي الدين أبو اليمن محمد بن قاسم الشيشيني المحلي، كان نديمًا لبرسباي، فتولى مشيخة الحرم المكي سنة٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م،والحرم المدني ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م، ثم عزل عنها وتوفي ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م.(السخاوي، التحفة اللطيفة، ج(١)، ص٣٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج(٢)، ص٢٧٣.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٥؛ الخياري، تاريخ معالم المدينة، ص١٦٨؛ الزهراني، الحياة الاجتماعية، ص٣١٩؛ كعكي، النسيج العمراني، ص٣٣؛ مصطفى، المدينة تطورها العمراني، ص١٦٦؛ زيدان، عمران المدينة، ج(٢)، ص٢٢، ٢٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

برسباي"[١]؛ وفي سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م سقطت منارة مسجد قباء التي بناها الوليد بن عبد الملك لتقادم عهد البناء فهبَّ الشمس بن الزمن[٢] لإعادة بنائها فهدمها من الأساس، وجدّد عمارتها؛ كما هدم سور المسجد امتدادا إلى آخر الباب الغربي للمسجد، وأعاد بناءه من جديد[٣] وسدَّ الفتحات الثلاثة مما يلي المئذنة في الحائط الغربي، ونافذة بجوار المئذنة بالحائط الشمالي؛ كما هدم الأسطوانة الملاصقة للمنارة، وكانت مبنية بناء محكمًا بالرصاص، فأُعيد بناؤها بغير رصاص، ولم يكتف ابن الزمن بذلك؛ بل إنه بنى سبيل وبركة ماء في الجهة المقابلة للمسجد من جهة

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٥.

(٢) الشمس بن الزمن: محمد بن عمر بن عمر الشمس بن السراج الدمشقي ثم القاهري، ويعرف بابن الزمن، ولد سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م بدمشق، ونشأ بها، ثم سافر إلى القاهرة واستقر بها، وأصبح من كبار التجار، له كثير من المآثر الحسنة في مكة والمدينة والقاهرة وبيت المقدس، منها رباط بمكة ودشيشة ، وقد اختصه السلطان قايتباي للقيام ببعض العمارات في الحرمين الشريفين، منها إصلاح سقف المسجد النبوي وعمارة العين الزرقاء، سافر لمكة في موسم سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م فحجَّ وجاور حتى توفي سنة٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م.(السخاوي، التحفة اللطيفة، ج(٢)، ص٥٥٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج(٣)، ص٢٩٣.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٥؛كبريت الحسيني، الجواهر الثمينة،ص١٧٩؛ بكر، أشهر المساجد، ج(١)، ص١٩٢؛ كعكي، النسيج العمراني، ص٣٣؛ وتاريخ ومعالم المدينة، ج(٣) ص٢٤، ج(٤)، ص١٥٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الغرب في حديقة كانت تسمى بالسراج العيني، وجعلها وقفًا على أقاربه(١)، وأشار بعض الباحثين إلى أن تاريخ هذه العمارة زمن الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧م-١٤٩٥م)(٢) سنة٨٨١هـ/ ١٤٧٦م(٣)، وقد حدث لمسجد قباء تجديدات يسيرة في سطحه عهد السلطان المملوكي الأشرف قايتباي أيضا سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م(٤).

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٦؛كبريت الحسيني، الجواهر الثمينة، ص١٨٨، وذكر أن البركة والسبيل أصبحا للوزير محمد باشا مع بئر النبي -ﷺ- وحديقتها وحصنها؛ زيدان، عمران المدينة، ج(٢)، ص٢٣.

(٢) الأشرف قايتباي: أبو النصر قايتباي الملك الأشرف الجركسي الظاهر نسبة إلى الظاهر برقوق السادس عشر من ملوك الجراكسة، ولد سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م. ثم اتصل بالملك الظاهر فأعتقه، وتولى عددا من المناصب حتى تولى حكم المماليك في رجب سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م . وسار بالناس سيرة حسنة وأقام العدل بين أفراد الرعية فطالت مدة سلطنته واستمر في الحكم ٢٩سنة وأربعة أشهر حتى توفي في ١٧ من ذي الحجة سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م. (السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: دار الجيل، ط (١) ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مج(٣)، ج(٦)، ص٢٠١،٢٠٢؛ إبن إياس، بدائع الزهور، ج(٣)، ص٥٥؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد ت١٠٦١هـ/ ١٦٥١م، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، مج(١)، ج(١)، ص٢٩٨،٢٩٩.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص١٥٥؛ بكر، أشهر المساجد، ج(١)، ص١٩٢؛ كعكي، النسيج العمراني، ص٣٣؛ مصطفى، المدينة تطورها العمراني، ص١٦٦.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج(١)، ص٤٣٩؛ زيدان، عمران المدينة، ج(٢)، ص٢٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد عبَّر السخاوي[١] عن هذه العمارة المملوكية في زمن السلطان قايتباي بقوله: "وقد جددت منارته، ونور، وتزايدت بهجته في أيام الأشرف قيتباي"[٢]، كما تحدث السمهودي عن هذه العمارة، وذكر أنه قد تمَّ إحكام مصارف مياه الأمطار التي كانت تجتمع حول المسجد عند كثرتها، وأنفق قايتباي على هذه العمارة، وهذا العمل كله مالًا جزيلا، وأمكن الاستفادة من ماء المطر عند مسجد قباء[٣]، "وذلك كله في الصحائف الشريفة السلطانية الأشرفية، أعزَّ الله أنصارها، وأعلى في سلوك العدل منارها، على يد متولي العمارة الجناب الشمسي"[٤].

(١) السخاوي: محمد بن عبدالرحمن بن محمد شمس الدين مؤرخ وعالم بالحديث والتفسير والأدب ، أصله من قرية سخا ، ولد بالقاهرة سنة٨٣١هـ/ ١٤٢٧م. حفظ القرآن الكريم أسهم في تأليف أكثر من مئتي مؤلف في فروع العلم ومن أشهرها: "المقاصد الحسنة " في الحديث و"الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" و"التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة" و"الإعلان بالتوبيخ على من ذم علم التاريخ" وله رحلات طويلة في البلدان. توفي بالمدينة المنورةسنة٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م. (الغزي، الكواكب السائرة، ج(١)، ص٥٣، ٥٤ ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج(٨)، ص٤٦-٤٨.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج (١)، ص٤٣٩

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٣)، ص٤١٠.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج(٢)،ص٤١٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الأول:

العمارات العثمانية لمسجد قباء في العصر العثماني

(أ) العمارات العثمانية لمسجد قباء قبل عصر السلطان محمود الثاني:

حدثت عمارات لمسجد قباء على يد العثمانيين قبل ضم بلاد الحجاز لهم، ومن ذلك قيام السلطان مراد الثاني(٨٢٤ -٨٥٥هـ/ ١٤٢١-١٤٥١م)[١] بتعميره سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م[٢]، وكان حكم العثمانيين لبلاد الحرمين سنة٩٢٣هـ/ ١٥١٧م فاتحة عهد جديد لهذه البلاد من الرخاء والسعة، وذلك لما أولاه سلاطين الدولة العثمانية لساكني هذه

(١) مراد الثاني: بن محمد الأول بن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان بن أرطغرل، ولد سنة٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م كان يتصف بالكفاءة والشجاعة العسكرية والاستقامة الخلقية والكرم عيَّن للحرمين الشريفين صدقات كثيرة، دخل في قتال مع حكام الدول النصرانية وانتصر عليهم ثم سلم السلطنة لابنه محمد بعد أن استمر في الحكم إحدى وثلاثين عاما.(القرماني، أحمد بن يوسف ت١٠١٩هـ/ ١٦١٠م،أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد، ط(١) ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، بيروت: عالم الكتب، ج(٣)، ص٢٣،٢٧؛ابن أبي السرور البكري، محمد بن أبي السرور الصديقي البكري ت١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م،فيض المنان في دولة آل عثمان، تحقيق: عبدالرزاق عبدالرزاق عيسى، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط(١)٢٠١١م، ص١١٢-١١٤.

(٢) المكي، محمد الأمين ت ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م،خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: ماجدة مخلوف، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط(٢)١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٥٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

البلاد من رعاية واهتمام، وما قدموه من خدمات وتسهيلات، وكان منها آثار عمرانية لا تزال تُسطَّر لهم ما قدموه؛ فمنها ما قام به السلطان سليمان الأول(القانوني)[١] (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠م-١٥٦٦م) من تجديد عمارة مسجد قباء سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م على إثر الخراب الذي تعرض له المسجد وميلان سقفه حتى أوشكت مئذنته على السقوط، وأرسل له بعض القناديل والثريات من إستانبول، كما عيَّن له مؤذنين وخطباء،

(١) سليمان القانوني: بن سليم الأول بن بايزيد الثاني، عاشر ملوك آل عثمان، ولد سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م في إستانبول في وقت بلغت فيه الدولة العثمانية أوج قوتها، وخلف والده على الحكم. اشتهر بالقانوني؛ للقوانين والتنظيمات التي سنَّها داخل قطاعات الدولة، وشملت أنظمة التعليم والجيش وكافة فروع الحكومة، وكان يتمتع بمهارة عسكرية مكنته من خوض ثلاث عشرة حربًا عسكرية في أوروبا وآسيا. ومن أبرز فتوحاته فتح بلغراد عاصمة الصرب سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، كما استولى على جزيرة رودس معقل فرسان القديس يوحنا سنة٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، وحمى تونس من الأسبان، وضم إليه صنعاء وعدن سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، وقضى على نفوذ الصفويين في العراق حين دخل بغداد فاتحًا لها، توفي سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م. (النهراولي، قطب الدين محمد بن علاء الدين علي بن أحمد النهروالي المكي الحنفي ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، مكة المكرمة: مكتبة مصطفى الباز، ط(١) ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٩٩، ٣١٢؛ ابن أبي السرور البكري، فيض المنان،ص٢٧٠-٢٨٧؛ آصاف: يوسف ت١٣٧٥هـ/ ١٩٣٨م، تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، دمشق: دار البصائر، ط(٣) ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٧٢-٧٩؛ أوغلو، عبدالقادر دده، السلاطين العثمانيون، ترجمة: محمد جان، تونس: دار سحنون، ط١٩٩٨-١٩٩٩م، ص٥٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ورتب لهم رواتب وزيَّن المسجد من داخله وخارجه[١]، ويعدُّ السلطان مراد الثالث[٢](٩٨٢-١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٥م) من سلاطين الدولة العثمانية الذين كانت لهم مآثر جليلة في بلاد الحرمين الشريفين، ومنها ما قام به من نقل المنبر القديم الموجود في المسجد النبوي الشريف، الذي أهداه السلطان المملوكي قايتباي للمسجد النبوي الشريف سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، إلى مسجد قباء، وقام هو بصنع منبر جديد للمسجد النبوي الشريف سنة ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م ووضعه فيه[٣]، وكان هذا المنبر المملوكي

(١) صبري باشا، أيوب ت١٢٩٠هـ/ ١٨٩٠م موسوعة مرآة الحرمين الشريفين، ترجمة: ماجدة مخلوف، وحسين المصري، وعبد العزيز عوض، محمد حرب، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج(٤)، ص:٦٧٥؛ البرادعي، المدينة، ص٢٤.

(٢) مراد الثالث: بن سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول، ولد في إستانبول سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، واشتغل بالعلوم حتى حصلها وفاق أقرانه، اهتم بفقراء الحرمين الشريفين، وأوقف عليهم الأوقاف الكثيرة، كان شاعراً مجيداً يكتب بالعربية والتركية والفارسية، من أبرز الأحداث التي شهدتها الدولة في عهده دخول بولونيا تحت النفوذ العثماني سنة٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م، وقد حققت الدولة انتصارات على الصفويين في عدة مواقع، وفتحوا تبريز للمرة الرابعة سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م، وعقدت الدولة في عهده معاهدة صلح مع النمسا سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م بعد مناوشات بين الطرفين، توفي سنة ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م. (النهروالي: الإعلام، ص٣٨٩؛ القرماني، أخبار الدول، ج(٣)، ص٧٣-٧٩؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج(٢)، ص٣٠١؛ أوغلو، السلاطين العثمانيون، ص٥٦.

(٣) الأنصاري، آثار المدينة، ص٧٧؛ الوزنة، يحيى بن حمزة، كتاب الحرمين الشريفين، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط(١) ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٨٩؛ جلون، مساجد ومصليات العهد النبوي، ص٥٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مصنوع من الرخام وله باب خشبي صغير وله ثمان درجات من الرخام، وفي نهايته قبة حملت على أربعة أعمدة من الرخام، وقد نقش هذا المنبر على جوانبه بنقوش ورسوم هندسية، وقد وضع في أعلاه لوحة كتب عليها قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

وفوق باب المنبر كتبت آيات قرآنية، وقد تجلى في صناعة هذا المنبر فن العمارة الإسلامية ودقتها(٢).

وفي زمن الدولة العثمانية أيضًا قام شيخ الحرم النبوي(٣) آنذاك

(١) النحل: الآية ٩٠.

(٢) بكر، أشهر المساجد، ج(١)، ص١٩٧.

(٣) شيخ الحرم النبوي: يتم تعينه من إستانبول وكان يتم اختياره من بين الرجال الذين نالوا رتبة قزلار أغاسي (أي مسؤول الحريم في القصر السلطاني) ثم أصبح يُختار من الوزراء أو العسكريين برتبة مشير أو فريق ، ويشترط في من يتولى مشيخة الحرم الإلمام الكافي بالعلوم الشرعية وأمور القضاء وإجادة اللغة العربية ،وبلغ من علو منصب مشيخة الحرم أن متوليها كان له حق مراسلة السلطان العثماني، وقد خصصت الدولة راتبًا كبيراً له كما خُصص له مكان في المسجد النبوي عرف باسم دكة شيخ الحرم النبوي. وكان يتولى مسؤولية الإشراف المباشر على شؤون المسجد النبوي وموظفيه، كما يحق له إصدار الأوامر بأعمال الترميمات والإصلاحات في المسجد النبوي ومن المهام المناطة به أيضا استقبال الوفود والأعيان وتوفير الخدمة في أثناء زيارتهم للمسجد النبوي .ومن مهامه كذلك الإشراف على شؤون المدينة =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويدعى محمد مجر بتجديد عمارة مسجد قباء سنة ١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م[١].

استمرت عمارة السلطان سليمان القانوني لمسجد قباء ما يقرب من مئة وستين سنة حتى تعرض للقدم والخراب، وأوشكت جدرانه على السقوط فأرسل السلطان مصطفى الثاني(١١٠٦ -١١١٥/ ١٦٩٤-١٧٠٣م)[٢] أوامره إلى المعمار سليمان بك الذي قام بتجديد جدران

=

ورئاسة مجلس إدارة المدينة، حتى تم فصل وظيفة المشيخة عن محافظ المدينة فانحصرت وظيفة المشيخة في الإشراف على شؤون المسجد النبوي بينما عهد بالأمور الإدارية والمالية والأمنية لمحافظ المدينة .ورغم هذا الفصل في المهام فقد تمتع شيخ الحرم بصلاحيات متعددة وبقي له حق مخاطبة السلطان مباشرة والإشراف على شؤون أوقاف الحرم النبوي الداخلية والخارجية إلى جانب اشرافه التام على شؤون المسجد النبوي(الخالدي، دايل علي، الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبدالحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٩م)، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص١١٦؛ المطيري، سلمان سالم، الإدارة العثمانية في المدينة المنورة (١٢٨١- ١٣٢٧هـ/ ١٨٦٤-١٩٠٩م)، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة،ط١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٧٨،١٥٠.

(١) كبريت الحسيني، الجواهر الثمينة، ص١٧٩،١٨٠، وقد ذكر أنه مسجد قباء لا يزال في نضارة هذه العمارة في زمانه.

(٢) مصطفى الثاني: بن محمد الرابع بن إبراهيم الأول ولد سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م كانت له حروب ومعارك مع النمسا التي استطاع أن يسترد منها بلاد الصرب عزل عن الحكم سنة١١١٥هـ/ ١٧٠٣م ولم يلبث أن توفي بعد عزله بعدة أشهر.(آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان،ص١٢٠،١٢٢؛ أوغلو، السلاطين العثمانيون، ص٦٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مسجد قباء ومئذنته بعد ما هدمها كما بنى قبة على أربعة أعمدة فوق مبرك الناقة(١)؛ كما عني المعمار سليمان بك بالمرافق والخدمات خارج المسجد؛ فقام ببناء سبيل للماء وعدد من دورات المياه، وحتى تتغذى هذه المرافق بالماء قام بحفر بئر في ساحة المسجد الرملية، وكان ذلك سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م؛ حيث أدى سليمان بك مهمته على أكمل وجه، واستمرت هذه العمارة ودامت ١٣٣ سنة حتى أصابه الخراب والدمار مرة أخرى، وأوشك المسجد على السقوط، فعُرض الأمر على السلطان محمود الثاني سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م(٢).

كما أشارت الوثائق إلى أن الدولة العثمانية قررت سنة١١٩٥هـ / ١٧٨٠م القيام بعمارة مسجد قباء وترميمه، إلا أن عملية البناء والترميم لم تتم بسبب الفتن وانعدام الأمن والفوضى التي يحدثها أبناء القبائل العربية على أطراف المدينة، ولذا صدرت أوامر السلطان(٣) مرة أخرى

(١) صبري باشا، موسوعة مرآة الحرمين، ج(٤)، ص٦٧٥-٦٧٦. ومبرك الناقة: الذي في مسجد قباء، وهو في وسط المسجد، وقد أزيلت العلامة التي وضعت لهذا المبرك، وغير معروف مكانه الآن، كما أن البئر التي كانت في الرحبة قد طمرت وليس لها أثر الآن، كما أزيل ما يسمى بطاقة الكشف وغير معروف الآن، (الأنصاري، آثار المدينة، ص٨١؛ وبدرشيني، مكة والمدينة، ص١٦٨.

(٢) صبري باشا، موسوعة مرآة الحرمين، ج(٤)، ص٦٧٦.

(٣) لم تفصح الوثيقة عن اسم السلطان ولكن من خلال تاريخها فإن السلطان الحاكم في هذه =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لإعادة إعماره وبنائه، وكذلك بناء مدرسة ومكتبة ودكان، وبعد استدعاء أمين العمارة(١)بالمدينة بهلول محمد آغا أفاد بأن تكلفة عمارة مسجد قباء من الداخل والخارج، وكذلك تعمير المنارة يحتاج إلى ٣٠٠٠ قرش(٢)

=

الفترة الزمنية هو عبدالحميد الأول بن أحمد الثالث الذي حكم مابين عامي(١١٨٧-١٢٠٣هـ/ ١٧٧٤-١٧٨٩م) وتم في عهد توقيع معاهدة كوجوك قينارجة سنة١١٨٨هـ (٢١يوليو١٧٤٤م) وهي من أقسى المعاهدات التي وقعتها الدولة العثمانية مع الدول المعادية لها؛ وذلك عقب انتصار روسيا على الدولة التي طلبت الصلح فتم توقيعه في مدينة قينارجة البلغارية، اعترفت بمقتضاه الدولة باستقلال تتار القرم وإقليم بسباريا في رومانيا،ودفعت لروسيا غرامة حربية كبيرة. (أرسلان، شكيب ت١٣٦١هـ / ١٩٤٦م، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن السماحي سويدان، دمشق: دار ابن كثير، ط(١)١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٢٥٥-٢٥٧؛ ياغي، أحمد بن إسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض: مكتبة العبيكان، ط(١) ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص١٢٣-١٢٥.

(١) أمين العمارة أو أمين البناء :لقب أطلق على كل من كان يقوم بالإشراف على بناء كبير يتبع الدولة العثمانية ويستمر عملة طوال مدة استمرار أعمال البناء . وكان يشرف على مصروفات العمارة وتأمين احتياجات ولوازم مواد البناء وتوفير العاملين. وكان مسؤولا أمام الدولة عن الانتهاء من البناء في الفترة المحددة. (صابان، سهيل بن إبراهيم حقي: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١٤٢١هـ/ ٢٠٠م، ص٣٧، ٣٨.

(٢) القرش: القرش العثماني الذي استخدم نهاية القرن ١٠هـ/ ١٦م كان يساوي ٨٠ آقجة ارتفع سعره في القرن ١٢هـ/ ١٨م إلى ١٢٠ آقجة ، وهي وحدة وكان وزنها تسعة دراهم من الفضة وأطلق عليها ريال قروش، ثم بدأت تتناقص عياراً ووزناً كوحدة نقدية ، وكانت من الذهب ،

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فقط، ولإنشاء المدرسة والمكتبة والدكان فإن هذا المبلغ يتضاعف إلى ستة الآف قرش، وكان توجيه السلطان في ذلك إلى أن تعمير هذه الأماكن الشريفة يقع على عاتق أوقاف الحرمين الشريفين(١).

***

=

ثم بدأ ضربها من الفضة سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، حتى أصبحت في عهد السلطان عبدالحميد الثاني أقل من نصف درهم.(صابان،المعجم الموسوعي،ص١٧٩.

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT23/1166-A.من الوزير إلى السلطان العثماني بشأن توقف عمارة مسجد قباء نظرا للفتن التي يثيرها أبناء القبائل العربية وبيان تكاليف عمارة مسجد قباء وبناء مكتبة ومدرسة ودكان، تاريخها ١١٩٥هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني:

العمارة العثمانية لمسجد قباء في عهد السلطان محمود الثاني(١):

- أسباب قيام السلطان بالعمارة:

هبَّ السلطان العثماني محمود الثاني لتعمير مسجد قباء وإعادة بنائه

(١) محمود الثاني: بن عبد الحميد الأول بن أحمد الثالث بن محمد الرابع، ولد سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، وتلقى تعليمه منذ صغره، فقرأ الأدب واللغة العربية، وتأثر بإصلاحات سليم الثالث (١٢٠٢-١٢٢٢هـ/ ١٧٨٩-١٨٠٧م)، وبخاصة العسكرية منها، وكانت الانطلاقة التي انطلق منها نحو الإصلاحات العثمانية، ومنها سياسته الرامية إلى تجديد النظام الإداري والعسكري للدولة العثمانية، ولذا وقع السلطان محمود الثاني على مرسوم ينص على تنظيم الجيش وتنظيم جمع الضرائب، وقد عرفت البحرية في عهده تنظيماً جديداً، وجرى تعزيز المدرسة البحرية التي أنشأها سليم الثالث من قبل، وأمام الهزائم المتتالية التي مني بها الجيش العثمانية من قبل القوات الروسية والإيرانية قام السلطان محمود الثاني سنة١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م بتصفية الإنكشارية فيما عرف بـ"الواقعة الخيرية"، وعوضهم بنظام العساكر المنصورة المحمدية. كما قامت فرنسا في عهده باحتلال الجزائر١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وكذلك شهدت الدولة في عهده توسعات محمد علي باشا والي مصر في بلاد الشام، وقد دامت مدة حكمه ٣١ عاماً، (إبراهيم حليم بك، إبراهيم ت١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، تاريخ الدولة العلية العثمانية المسمى "التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية"، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط(١) ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١١؛ آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١٤٤-١٤٨؛ أوغلو، السلاطين العثمانيون، ص٧٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

على الصورة التي تليق بجلالة ومهابة وقداسة مدينة رسول الله-ﷺ- وما حوته من الأماكن الدينية والمعالم البارزة التي يرتبط الكثير منها بسيرة الرسول الكريم، وكان الدافع لذلك الإصلاح العرض المقدم إلى السلطان عن الحالة المعمارية التي وصل إليها المسجد من الخراب، وتهدم ثلثي بنائه بما لا يليق بهذه الأماكن الدينية المجاورة للحرمين الشريفين، وذلك وفقًا للتقرير الذي أورده جلبي أفندي بعد عودته من أداء فريضة الحج، كما وصل للسلطان خطاب وزيره المتضمن طلبه من السلطان الاستعانة بترجمان الحرمين الشريفين الذي قام بسؤال القادمين من أهالي المدينة وبعض الزوار عن وضع مسجد قباء، وكذلك ترجمان الديوان إسحاق أفندي الذي كان يعمل في دار الهندسة السلطانية وأرسل مأمورًا للكشف عن المسجد، واستطلاع أحواله، وقدم رسما هندسيًّا له مستعينًا بأهل الخبرة والمعرفة، وقد قرَّر الخبراء المدة الزمنية المطلوبة لاستكمال العمارة قرابة السنتين ابتداءً من مطلع سنة١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، وكذا تقدير التكلفة المادية لهذه العمارة التي تصل إلى٣٠٠ كيسا من الأقجة(١)، كتقدير مبدئي لنفقات هذه العمارة، أما عن مواد البناء التي

(١) الأقجة: عملة فضية صغيرة تم ضربها في عهد السلطان أورخان بن عثمان (٧٢٦-٧٦١هـ/ ١٣٢٦-١٣٥٩م). (دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ستستخدم في عمارة مسجد قباء فقد تكلفت الدولة بتوفيرها من ولاياتها الأخرى نظرًا لصعوبة إحضار مواد البناء من المدينة، ولما كانت حاجة العمارة تتطلب معمارا قديرا للقيام بهذه المهمة التي تتناسب مع قداسة المكان الدينية، فقد تقدم الوزير بمقترح على السلطان بتعيين أحد المعماريين المهرة للقيام بهذه المهمة، وتسليمه الأموال والنفقات النقدية التي تحتاجها العمارة، وأوصى أن يكون في معاونته شيخ الحرم النبوي سعادة الآغا حافظ عيسى وقاضي المدينة المنورة أفندي(١) نظرا لخبرتهم

=

المملوكي، دمشق: دار الفكر، ط (١)١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٩.

(١) قاضي المدينة: كان قاضي المدينة يرشح من قبل شيخ الإسلام في إستانبول ثم يصدر مرسوم سلطاني بذلك. وكانت الدولة تؤهل من ينهي خدمته في قضاء المدينة لتولي منصب قضاء إستانبول، وكان قاضي المدينة أحد أركان هيئة لواء المدينة ومجلس إدارتها .ومن مهامه إلى جانب مهمة القضاء والفصل في الخصومات توزيع المخصصات والأموال التي ترد للمدينة من عاصمة الدولة وولاياتها ومن السلاطين والوزراء؛ ومنها الصرر وتسليمها لمستحقيها والإشراف على الإصلاحات والترميمات في المسجد النبوي ،ويسهم في النشاط العلمي من خلاله قيامه بالتدريس في المسجد النبوي والمدارس وتأليف الكتب والمصنفات ،وقد خصصت الدولة العثمانية عوائد مالية وعينية كبيرة لقضاة الحرمين الشريفين متمثلة في الرواتب ورسوم الدعاوى والصرر والهدايا والإنعامات وكان يعاون القاضي في أداء مهامه عدد من الموظفين منهم المفتون والمحتسب والكاتب والترجمان وشهود العدول وغيرهم.(الخالدي، الإدارة العثمانية،ص٢٣٥-٢٥٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ودرايتهم بشؤون المدينة وأحوالها انطلاقا من المهام التي يقومون بها والوظائف التي يتولونها؛ وذلك تحت إشراف نظارة الأوقاف(١)، وبعد إتمام العمل ستقدم دفاتر الحسابات التي تتضمن جميع ما أنفق وصرف على عمارة مسجد قباء، وكان ردُّ السلطان محمود بتوجيه ناظر الأوقاف يوسف أفندي بترشيح الشخص المناسب للقيام بهذا الأمر(٢).

(١) نظارة الأوقاف: اهتم سلاطين الدولة العثمانية بإيقاف الأوقاف للإنفاق من ريعها على الحرمين الشريفين وقد أنشأت الدولة العثمانية سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م نظارة أوقاف الحرمين الشريفين بإستانبول لإدارة شؤون أوقاف الحرمين في كافة أنحاء الدولة وضمان بقاء دخلها ثابتا للإنفاق منه على الحرمين وساكنيه. وانقسمت الأوقاف في محافظة المدينة إلى قسمين: الأوقاف الداخلية التي هي ضمن دائرة محافظة المدينة والأوقاف الخارجية التي تقع خارج محافظة المدينة وتنتشر في أرجاء الدولة، ويعد شيخ الحرم النبوي المسؤول الأول عن إدارة شؤون أوقاف المسجد النبوي وعن مراسلة الجهات المسؤولة داخل المدينة وخارجها في حين يتعاون مدير الحرم والقاضي وأمين الخزنة في حصر هذه الأوقاف وتدوينها في سجلات خاصة وإرسالها لعاصمة الدولة، وقد أسهمت الأوقاف في الانفاق على جميع مرافق الحياة في المدينة كالإنفاق على المسجد النبوي وغيره من المساجد وإنشاء المدارس والأربطة والانفاق على الفقراء والمحتاجين. (المطيري، الإدارة العثمانية، ص١٦٠-١٦٤).

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف:HAT,548/27046 عنوانها: تجديد وتعمير ومصاريف مسجد قباء تاريخ١٢٤٣هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما أشارت بعض المصادر إلى أن أهالي المدينة أرسلوا إلى السلطان محمود الثاني سنة١٢٤٤هـ، يطلبون عمارة مسجد قباء بعد أن أهمل نتيجة تقلب الزمن وسوء حالته، حتى أوشك على الانتهاء؛ فسارع السلطان للاستجابة لهذا النداء وقام بعمارته، كما أضاف منارة بديعة الشكل غير أن بناءها لم يكتمل إلا في عهد ابنه عبد المجيد(١) (١٢٥٥-١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩-١٨٦١م)(٢).

(١) عبد المجيد الأول: بن محمود الثاني بن عبدالحميد بن أحمد الثالث بن محمد الرابع، ولد سنة١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، ألقى خطاباً بعد توليه الحكم يعرف بخط شريف كلخانة أعلن فيه مساواة جميع رعايا الدولة أمام القانون مع المحافظة على الشريعة الإسلامية، وإيجاد نظام ثابت للضرائب، وكان هذا البرنامج منطلقاً لسلسة من الاصلاحات المتنوعة. وفي عهده أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية سنة١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م واحتلت الأفلاق والبغدان (رومانيا الحالية) بحجة حماية الأقليات الأرثوذكسية، وأمام تدخل فرنسا وبريطانيا وتوقيع معاهدة مع الدولة لحمايتها من الهجمات الروسية وقعت معاهدة باريس١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م الذي أصدر فيه السلطان العثماني الخط الهمايوني الذي أقرَّ المساواة بين الطوائف، والتزمت روسيا في هذا المؤتمر باحترام ممتلكات الدولة واستقلالها على أن تلتزم الدولة العثمانية بإغلاق البسفور والدردنيل في وجه السفن الحربية غير العثمانية،توفي سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م. (حليم بك، التحفة الحليمية، ص٢١٣-٢١٦؛ المحامي: محمد فريد بك ت١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، ط(٨) ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٤٥٥،٤٨٠،٤٨١،٥٢٩؛ آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١٠،١١١؛ أوغلو، السلاطين العثمانيون، ص٨٠.

(٢) عن هذه العمارة، المكي، خدمات العثمانيين، ص٥٢؛ عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة، ص٨٢؛ الشنقيطي، الدر االثمين، ص١٣٦؛ كعكي، النسيج العمراني، ص٣٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- أمين العمارة:

صدرت أوامر السلطان محمود الثاني بتكليف محمد عزيز أفندي للقيام بهذه العمارة نظرًا لخبرته ودرايته في شؤون البناء والتعمير؛ ويعاونه في ذلك شيخ الحرم النبوي سعادة حافظ عيسى آغا، ومحافظ المدينة المنورة، كما صدرت الأوامر بإرسال عدد من العساكر والجنود العثمانية لإتمام العمارة بسبب توقفها لسنوات عدة لإضطراب الأحوال والأوضاع الأمنية بالمدينة المنورة وأطرافها، وتحديد مصارفهم وهباتهم من وقف السليمية ووقف المرحومة والدة سلطان مهر شاه(١)، كما كان هذا الإجراء نابعـًا من خشية من الاعتداءات التي قد يحدثها أبناء القبائل العربية، كذلك أمر السلطان محمود بتزويد محمد عزيز أفندي بالمعدات وأدوات البناء التي يحتاجها لعمارة المسجد، وكذا تزويده بالدَّواب لنقل هذه المعدات والأدوات وكل ما تحتاج إليه العمارة، وتحديد العاملين الذين سوف يتم اختيارهم من السكان المحليين، وكانت غرة شهر الله

(١) مهر شاه: والدة السلطان سليم الثالث وشريكته في السلطة ستة عشر عاما من١٢٠٤-١٢٢٠هـ/ ١٧٨٩-١٨٠٥م، من أصل جورجي، أيدت ابنها في أعمال الإصلاح التي قام بها أثناء فترة حكمه ولاسيما تنظيم المدارس العسكرية، كانت لها مبرات وخيرات منها مدرسة في منطقة أيوب وسبيل ماء في منطقة يني كوي حملا اسمها وكلاهما في إستانبول. (ويكبيديا، الموسوعة الحرة، استرجع بتاريخ٨/ ٦/ ١٤٣٩هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المحرم من سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م هي المدة المحددة التي تبدأ فيها هذه العمارة، وقد قامت الدولة بتخصيص راتب شهري لعزيز أفندي من خزينة الأوقاف السلطانية، قدره ١٥٠٠ قرش شهريًّا طوال فترة العمارة، وقد تقرر أن يُعطى محمد عزيز أفندي نصف راتبه الشهري، ويرسل الباقي مع الصرة السلطانية(١). كما جاءت أوامر السلطان أن يتسلم محمد عزيز أفندي راتبه خلال المدة التي تم الاتفاق عليها في إنهاء العمل، وفي حالة زيادة الوقت أو نقصانه يتسلم راتبه في المدة المتفق عليها؛ لأن المدة الزمنية التي تستغرقها عملية البناء قد تطول عن الفترة التي حُددت لها(٢). ولعل مرد ذلك خوف السلطان محمود من توقف

(١) الصرة: في اللغة ما يُصرُّ على الشيء، وهي كلمة عربية تعني كيس النقود، واستخدم للهدية أيضا، وأطلقت في المعاملات التجارية على مبلغ خمسين ألف آقجة، كما استخدمت في المبالغ المالية التي كان يرسل بها السلاطين العثمانيون إلى مجاوري مكة المكرمة والمدينة المنورة من الحكام والسادة والأشراف والأعيان والفقراء، وكانت قافلة الصرة تخرج من إستانبول في الثاني عشر من شهر رجب من كل سنة متوجهة إلى الحجاز، ويتكفل أمين الصرة بتوصيلها إلى الحجاز في الوقت المحدد.(صابان، المعجم الموسوعي، ص١٤٤؛مصطفى عبدالكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط(١)١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف: HAT 545/26956-A .مرسلة إلى السلطان العثماني بشأن تعمير مسجد قباء وتكليف عزيز أفندي للقيام بذلك وتزويده بما يحتاج إليه من معدات البناء وتخصيص راتب له .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عملية البناء في بعض مراحلها بسبب المشاغبات التي تصدر من بعض أبناء القبائل العربية. وكذلك صدرت الأوامر للمعمار محمد عزيز أفندي بإنشاء مدرسة ومكتبة لحفظ الكتب. وقد صدرت أوامر السلطان كذلك بإرسال ٣٠٠ كيسًا (كل كيس ٥٠٠ آقجة) مع أمين الصرة تدفع نقدًا لأمين العمارة(١).

وقد بذل أمين العمارة محمد عزيز أفندي منذ أن تمّ تكليفه بعمارة وتجديد مسجد قباء قصارى جهده في البناء والتجديد، تمَّ خلالها إتمام بناء جزء من المسجد، وبناء أربعين قبة للمسجد ولبعض المرافق المحيطة به، أما مآذن مسجد قباء الأربعة فقد تم خلال سنة١٢٤٤هـ؛ رفع بناءها إلى النصف، وبقي النصف الآخر، وقد قدم معمار البناء محمد عزيز أفندي حسابًا ماليًا وافيًا اتضح من خلاله مقدار الإنفاق على هذه العمارة والتي بلغت ١٥٠ ألف قرش كانت دفاتر السجلات قد أفردت

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف: HAT 545/26956 من ناظر الأوقاف السلطانية إلى السلطان؛ الأرشيف العثماني، تصنيف: T. C. BASBAKN LINK OSMANLI ARSIVI (BOA) العنوان: الاستفسار عن تاريخ بدء عمارة مسجد قباء وبعض الأماكن الشريفة الغريبة منه، رسالة من قدري آغا إلى والي الشام حول التعمير في مسجد قباء التي نقلها إلى والي الشام للسلطان العثماني؛ فوافق السلطان على مقترح قدري أغا غرة رجب ١٢٤٦هـ ؛ الأرشيف العثماني، تصنيف:HAT548/27047.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تفاصيل هذه الأموال التي أنفق منها على هذه العمارة، وبناء مدرسة سلطانية ومكتبة. وإنشاء أربعين قبة للمسجد وبعض المرافق المحيطة به، ولكن المآذن لم تكتمل لحاجة العمارة لأموال أخرى غير التي حددت لها(١).

نفقات العمارة:

جاءت موافقة السلطان محمود الثاني على صرف ١٥٠ ألف قرش على عمارة مسجد قباء، ونظرًا لأن عمارة المسجد والأماكن المحيطة به قد تطلبت أموالًا تجاوزت الـ١٥٠ ألفًا؛ فقد قام المعمار محمد عزيز أفندي باقتراض ١٣ ألف قرشٍ لإتمام نفقات العمارة، وذلك بمعرفة شيخ الحرم النبوي حافظ عيسى آغا؛ كما سبق استقراض ٣٠ ألف قرشًا لتغطية نفقات العمارة والمواد اللازمة للبناء والتعمير، وقد اتضح من خلال هذا العرض الذي قدَّمه محمد عزيز أفندي أن هناك نقصًا في بعض مواد البناء التي يلزم توفيرها من إستانبول، وكل ذلك سيتم تدوينه

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف: HAT 550/27153-B من شيخ الحرم حافظ عيسى آغا إلى السلطان العثماني، موضوعها: طلب إرسال الأموال من إستانبول لإتمام عمارة مسجد قباء وبناء مدرسة سلطانية ومكتبة لحفظ الكتب وتفاصيل الأموال المرسلة، التاريخ ٧محرم١٢٤٥هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في سجلات خاصة يدون فيها كل تكاليف العمارة(١)

ويظهر أنه كان لولاية مصر العثمانية دورٌ جليٌّ في الإسهام بعمارة مسجد قباء وتزويده بالمؤن اللازمة وذلك في عهد واليها محمد علي باشا(٢) (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م) الذي بذل جهودًا كبيرة في سبيل القيام بإعادة بناء وترميم مسجد قباء؛ إذ أنه كانت هناك محاولات

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف: HAT 550/27135-C من مأمور البناء، محمد عزيز إلى السلطان العثماني، غرة محرم ١٢٤٥هـ،الموضوع:إرسال المبالغ والأموال لإتمام بناء مسجد قباء والمرافق التابعة له؛ الأرشيف العثماني، تصنيف: HAT 550/27135-c من شيخ الحرم النبوي إلى السلطان ، نفس موضوع الوثيقة السابقة بتاريخ: ٧ محرم ١٢٤٥هـ .

(٢) محمد علي باشا: بن إبراهيم أغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، من أصل ألباني، ولد في بلدة قولة التي تتبع الدولة العثمانية، وهي تتبع اليونان حاليا، وذلك سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م . كان أميّا تعلم القراءة والكتابة في سن متأخرة، جاء لمصر وكيلا لرئيس قوة من المتطوعة من قولة تساعد في اعتداءات الفرنسيين على مصر. وبعد أن أصبح واليا على مصر عني بتنظيم حكومتها وأنشأ دارا لصناعة السفن في الإسكندرية ، وضم معظم السودان الشرقي لمصر، وأرسل البعثات إلى أوربا، انتدبته الدولة العثمانية لمحاربة الدولة السعودية الأولى، وشارك في حرب المورة، جعلت الدولة العثمانية له حكم مصر وراثيا سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م واعتزل أمور الحكم لابنه إبراهيم ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م وأقام بالإسكندرية إلى أن توفي بها سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م، ودفن بالقاهرة.(الزركلي، الأعلام، ج(٦)، ص٢٩٨،٢٩٩؛ العجلاني، منير، تاريخ البلاد العربية السعودية، د.م..ن، ط(٢) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج(٤)، ص٣١٨-٣٢٠؛ عمر، عمر عبدالعزيز، دراسات في تاريخ مصر الحديث، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط١٩٨٣م، ص ١٩٤، ١٩٦، ٢٢٥، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لهذا البناء سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م بعد أن قام المهندس سيد عبد الرحيم أفندي(١) بوضع خطة لهذا العمل ابتداءً من منتصف سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م بعد الانتهاء من عمارة بعض المرافق في المدينة المنورة؛ غير أنَّ عملية الترميم والبناء لم تتمّ إلا بعد مرور ما يقرب من ثمان سنوات، ممَّا دفع والي مصر إلى إرسال رسائله ومكاتباته منذ أوائل سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م إلى المسؤولين لتلبية احتياجات تعمير مسجد قباء وغيره من الأماكن(٢)، ومن ذلك رسالته إلى محافظ المدينة المنورة(٣)

(١) سيد عبد الرحيم أفندي: عين مشرفا على إتمام خطط التعمير بالمدينة بعد تأخر وصول إسحاق أفندي الذي كان منتدبًا من إستانبول للقيام بهذه المهمة، ومنها بناء مدرسة للسلطان وبناء تكية لإطعام طلبة العلم.(الحلواني، سعد بدير، تعمير المدينة المنورة١٨١٢-١٨٤٠م، ط(١) ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص١٧. والأفندي : كلمة ذات أصول بيزنطية تسربت إلى الأتراك، فاندمجت في التركية، وقد أطلقها العثمانيون في القرن ٩هـ/ ١٥م على المتعلم وحلت محل كلمة جلبي وفي القرن ١٣هـ/ ١٩م أطلقت على الأمراء العثمانيين والموظفين وصغار ضباط الجيش وفي أواخر العهد العثماني كانت تضاف إلى الاسم للاحترام والتبجيل، ولايزال هذا التعبير من الألفاظ الدارجة على ألسنة الناس في بلاد الشام. (الخطيب، معجم المصطلحات، ص٣٦؛ المصري، معجم الدولة العثمانية، ص٣٤، ٣٥.

(٢) الحلواني، تعمير المدينة، ص١٧، ١٨.

(٣) محافظ المدينة المنورة: يمثل رأس الجهاز الإداري في محافظة المدينة، وكان من مهامه الإشراف على شؤون المدينة الإدارية والمالية والعسكرية، والإشراف على موظفيها المدنيين =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

على آغا في ١٢ربيع الأول سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، والتي تتضمن توفير مستلزمات العمارة من جديد، كما تضمن رسالة محمد علي بتولي محمد عزيز أفندي-رئيس حفظة الكتب بالمكتبة السلطانية-، الإشراف على البناء(١)، وقد أكد محمد علي باشا هذه المطالب أيضًا في رسالة أخرى إلى شيخ الحرم النبوي آنذاك حافظ عيسى آغا في التاريخ ذاته مع الإشارة والتنويه إلى بذل الجهد في تنفيذ أوامر السلطان العثماني، وفي سياق تتبع إتمام إحضار متطلبات عمارة مسجد قباء يقوم محمد علي بإرسال رسالة ثالثة إلى محافظ ينبع البحر عثمان آغا في ١٣ ربيع الأول من السنة ذاتها يطلب منه سرعة إحضار حجر الكلس إلى المدينة، كذلك صدرت أوامر محمد علي إلى المختصين في مصر لتجهيز أنواع وكميات الأخشاب اللازمة لعمليات الترميم والبناء(٢). وهي جهود تبرز أنه كان لولاية مصر العثمانية دور في إنعاش بلاد الحرمين الشريفين من الناحية الاقتصادية

=

وكذلك العسكريين وحفظ الأمن في محافظة المدينة والأقضيات التابعة لها ،ويتبع محافظ المدينة من الناحية الإدارية لوالي الحجاز إلا أنه ابتداء من عام١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م أصبح له حق مراسلة الباب العالي في إستانبول مباشرة .(المطيري، الإدارة العثمانية،ص٧٦،٧٧.

(١) الحلواني، تعمير المدينة، ص١٨.

(٢) الحلواني، تعمير المدينة، ص١٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وشمول ساكنيها بالإنعامات المالية والعطوفات النقدية والعينية فضلا عن مساهماتها في الإصلاحات العمرانية(١).

وفاة المعمار محمد عزيز أفندي وتعيين أمين جديد للعمارة:

في أثناء إتمام عملية البناء والترميم التي كان يُشرِف عليها محمد عزيز أفندي، وكذلك إنشاء مكتبة لحفظ الكتب وردت الأنباء من أمير الحاج الذي قدم المدينة في الثالث من محرم من سنة ١٢٤٥هـ بوفاة أمين العمارة محمد عزيز أفندي، وذلك وفقًا لتحريرات شريف مكة الشريف عون(٢)؛ كما وصل الخبر إلى ولاية مصر عن طريق أحد رجال شيخ

(١) لمزيد من المعلومات حول علاقة ولاية مصر ببلاد الحرمين الشريفين انظر: (السيد، سيد محمد، مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر الميلادي -دراسة وثائقية في النظم الإدارية المالية القضائية العسكرية-، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط(١)١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٤٣٤-٤٣٧؛ عبدالمعطي، حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية في القرن١٨م، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٩م، ص٢٥١ومابعدها؛ الدوسري، حمساء حبيش، العلاقات بين مصر والحجاز٩٢٣- ١٠٠٣هـ/ ١٥١٧-١٥٩٤م، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ط١٤٣٢هـ، ج(١)، ص١٣٠،١٣٣،٤٩٦،٤٩٩.

(٢) محمد بن عون: بن محسن بن عبدالله أحد أحفاد الشريف عبدالله الذي تولى إمارة مكة لفترة قصيرة سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، وأطلق اسم العبادلة على أسرة الأشراف الذين انحدروا منه. تولى محمد عون إمارة مكة في صفر سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م ودخل في قتال مع الشريف عبدالمطلب وأمير مكة السابق يحيى بن سرور وانتصر عليهم بقي في إمارة مكة ٢٥ سنة حتى =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحرم النبوي المدعو يوسف (١).

فجاءت أوامر السلطان محمود الثاني مباشرة بتعيين علي وحيد أفندي أمينًا لعمارة مسجد قباء خلفا للمعمار السابق محمد عزيز أفندي؛ لإتمام العمارة العثمانية لمسجد قباء، وإتمام بناء المكتبة السلطانية لحفظ الكتب، وكذا محاسبة القائمين على العمارة من نجارين وحدادين وحمالين وعمال وغيرهم (٢). وهو أمر يظهر مدى حرص الدولة العثمانية ممثلة في السلطان محمود الثاني على عدم توقف عملية البناء

=

عزل سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م ونقل لإستانبول ثم أعيد لإمارة مكة في ربيع الآخر سنة١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م. توفي في شعبان١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م.(جارستلي، إسماعيل حقي أوزون، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، تحقيق: عارف أحمد عبدالغني، دمشق: دار نور حور ، ط٢٠١٣م، ص١٥٦-١٥٩؛ عبدالغني، عارف أحمد، تاريخ أمراء مكة المكرمة ١- ١٣٤٤هـ،القاهرة:دار سعد الدين، ط١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م،ص٦٨٤-٦٨٧.

(١) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف: HAT 550/27135-A. من شيخ الحرم حافظ عيسى آغا إلى السلطان العثماني عنوانها : الأمر بتعمير مسجد قباء وعدد من المقامات حوله وإنشاء مكتبة، والإخبار بوفاة محمد عزيز أفندي وتعيين أمين آخر للبناء، تاريخ: ١٥ محرم ١٢٤٥هـ.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف: HAT 550/27135 ،من شيخ الحرم النبوي حافظ عيسى أغا إلى السلطان العثماني، عنوانها: طلب تعين معمار جديد لإتمام عمارة مسجد قباء والمقامات حوله واتمام بناء المكتبة بعد وفاة المعمار السابق محمد عزيز أفندي وإطلاع السلطان بما تم الأمر عليه، تاريخ: ١٥ محرم ١٢٤٥هـ.ولعل هذا يوضح بعد قرية قباء عن المدينة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

واستمرارها وفق المدة الزمنية التي حددت لها ولذا بادر بالإسراع لتعيين معمار جديد لمسجد قباء.

ولحين وصول المعمار الجديد من إستانبول لإتمام العمارة فقد اقترح العاملون في البناء حمل أدوات البناء إلى داخل المدينة المنورة نظرًا لبعد منطقة قباء نسبيا عن المدينة وخوفًا عليها من السرقة والنهب، وقد شملت هذه الأدوات: الحديد والرصاص ومستلزماتها واللَّبِن وفرن الخبز، وأكثر من عشرين قاطيرًا وحمارًا وغيرها من مستلزمات العمارة والبناء، وتقرر أن يتم وضع هذه المواد في مكان آمن، ثم إعادتها حين وصولها المعمار الجديد ليتم إنجاز العمل في الوقت المطلوب(١). ولعل هذه الإجراءات الاحتياطية من جانب المشرفين على العمارة والعاملين بها تكشف جانبا من الحالة الأمنية التي كانت تعيشها المدينة المنورة من تعديات أبناء القبائل العربية على الأرواح والممتلكات، ولاسيما في موسم الحج وهو الأمر الذي سخرت له الدولة العثمانية كافة إمكاناتها لإقرار

(١) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف: HAT 550/27135 ،من شيخ الحرم النبوي حافظ عيسى أغا إلى السلطان العثماني، عنوانها: طلب تعين معمار جديد لإتمام عمارة مسجد قباء والمقامات حوله وإتمام بناء المكتبة بعد وفاة المعمار السابق محمد عزيز أفندي وإطلاع السلطان بما تم الأمر عليه، تاريخ: ١٥ محرم ١٢٤٥هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوضع الأمني في بلاد الحجاز عامة والمدينة المنورة خاصة. ولعل هذا الإجراء يكشف أيضا حرص الدولة العثمانية على إرسال قوات عسكرية مرافقة لقافلة الحج والصرة حماية لها من أي اعتداءات قد تتعرض لها(١).

وبعد وصول أمين العمارة الجديد علي وحيد أفندي قام أمين الصرة السلطانية درويش بيك بتسليمه السجلات المالية ودفاتر الحسابات والكشوفات التي تحوي الكيفية التي ستكون عليها عمارة مسجد قباء، والأماكن الأخرى المرتبطة بها والقريبة منها، كبئر أريس(٢)، وكذلك الواردات اللازمة والمصروفات والأعطيات التي تدفع حسب القواعد (٣).

---

(١) حول التدابير الأمنية التي اتخذتها الدولة العثمانية في بلاد الحجاز راجع: القحطاني، حمد محمد، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز١٢٩٧- ١٣٢٣هـ/ ١٨٨٠-١٩٠٥م، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط(٢) ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢٢٨ -٢٤٤؛ فاروقي، ثريا، حجاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين، ترجمة: أبو بكر أحمد قادر، بيروت: منشورات الجمل، ط٢٠١٠م، ص٩٣-١٢٣؛ الدوسري، العلاقات بين مصر والحجاز، ج(١)، ص١٧٧.

(٢) بئر أَرِيس: أو بئر الخاتم أو بئر النبي-ﷺ-، أحد آبار المدينة المشهورة التي تقع في الجنوب الغربي منها سميت بأريس نسبة إلى رجل من اليهود، وسميت بالخاتم لوقوع خاتم النبي من يد عثمان بن عفان-رضي الله عنه- فيها في السنة السادسة من ولايته وقد أزيلت بسبب التوسعة السعودية لمسجد قباء. (الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة،ص٢٥١- ٢٥٤؛ كعكي، معالم المدينة، ج(٥)، مج(٢)، ص٩٥،٩٧،٩٩.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف: HAT 554/27417 من والي الشام قدري أغا إلى =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد شهدت الوثائق للمعمار السابق محمد عزيز أفندى بإخلاصه وتفانيه في العمل وأدائه على أكمل وجه بل بلغ به الأمر حدًّا أنه كان يتنازل عن جزء من الراتب المخصص له شهريًّا والذي قدر بـ١٥٠٠ قرشا وكان يتسلم ١٠٠٠ قرش فقط نظرًا لوجود عجز في نفقات وتكاليف البناء. ولذا بعد وفاته أرسل زوج ابنته علي وحيد استرحامًا إلى السلطان العثماني سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م لدفع الأموال المتبقية لوالد زوجته فجاءت أوامر السلطان بالموافقة على صرفها بعد الثبت من قسم المحاسبة وعدد من المختصين بالعمارة ومنهم شيخ الحرم النبوي وقاضي المدينة وغيرهم(١).

الأجزاء التي شملتها العمارة:

بعد أداء فريضة الحج توجه أمير الحاج من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وبحضور قاضي المدينة المنورة، وأمين الصرة السلطانية وقدري آغا وشيخ الحرم النبوي، وبعد قراءة ما جاء في الأمر السلطاني، ثم تسليم أمين العمارة الجديد علي وحيد أفندي ١١٥٠٠٠ قرش، ثم قام

=

السلطان العثماني ، عنوانها: بشأن تعمير مسجد قباء، تاريخها: غرة رجب ١٢٤٦هـ.

(١) مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، بخصوص الترميمات التي تمت في مسجد قباء ورواتب العاملين، رقمها ٢٣٢، تاريخها٢٥/ ٥/ ١٢٥١هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المجلس المذكور بزيارة مسجد قباء والاطلاع على العمارة وغيرها من العمارات الأخرى، وكان انطباع جميع المطلعين عليها أن العمارة تمت بشكل رصين ومتين ومتقن، كما أن القباب تم بناؤها بطريقة صحيحة بعد حساب مساحتها. وقد بقي أعلى باب المسجد فارغًا لوضع الحجر الذي يحمل تاريخ العمارة والتوقيع السلطاني لتكون أثرًا من آثار السلطان الخالدة(١).

وقد هدم أمين العمارة الجديد علي وحيد أفندي أعمدة المسجد وأعاد بناءها من جديد بشكل محكم وقوي، كما هدم كذلك المحراب القديم محراب النبي، ومحراب منزل الآية، وقبة مبرك الناقة، وكتبت الأبيات التي أرسلت من دار السعادة فوق طاقات هذه الآثار الشريفة(٢)، والأبيات التي كتبت فوق عقود الآثار الشريفة؛ هي: البيت الذي لا نظير له، والذي كتب على طاق محراب الكشف: "أصبح طاق الكشف لمحراب النبي علمًا ومن هنا انكشفت أرض الحرم لحضرته". أما البيت

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف: HAT 554/27417. من والي الشام قدري آغا إلى السلطان العثماني بشأن تعمير مسجد قباء، غرة رجب ١٢٤٦هـ.

(٢) صبري باشا، موسوعة مرآة الحرمين، ج(٤)، ص٦٧٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الذي كتب على محراب مبرك الناقة: "إن اسم هذا الموضع الطهور مبرك الناقة فأصبح قصوى جوا لآيات السلطان مولاك".

البيت الذي كتب على محراب منزل الآية المختار: "يقولون: إن آية ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١) نزلت ها هنا تعال، وقم هنا يا أيها المقتدي بأثر الرسول" الحديث الشريف الذي كتب على المحراب الجديد: قال النبي- ﷺ-: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلّى فيه صلاة كان له كأجر عمرة»(٢).

التاريخ الذي كتب على طاق باب مسجد قباء الشريف.

إمامَ المسلمين ملكَ الدنيا السلطان محمودُ خان

الخِلافةُ مُختصَّة بذَاتِه والكرَامةُ مُهَيَّأةٌ لِطَبْعِه

حِينَما سَمِع مَا حَلَّ بالمسجِدِ مِنْ خَرَابِ

بَادَر في التَّوِّ إلى تطيِيبِ خَاطِرِ أهل طيبةَ بِتَرْمِيمِه

(١) سورة التوبة، من الآية: ١٠٨.

(٢) ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ت٢٧٥هـ،سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار الفكر، ج(١)، ص٤٥٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

نَزلت آية التأسيس في حقِّ هَذَا المسجِدِ
فَلْيَشْهدْ بِمَكَانَةِ هذا السُّلطانِ الذي جُدِّدْ
كلَّما كان هذا المكانُ مَسجدًا لأهلِ
الحاجة فليُكْتَبْ لِلدِّينِ والدَّولةِ البَقَاءُ
كَتَبْتُ التاريخَ أَنَا "برتو" وسجدتُّ شَاكرًا
كان هذا المسجد خَرابًا، فَعَمَرَه محمودُ خَان(١).

وقد ورد في ثنايا الوثائق الإشارة إلى إنشاء حديقة؛ لأن المنطقة ستصبح مكانًا للزيارة وحرصًا على عدم تخريب هذه الحديقة فسيتمُّ عمل تقييد لكل داخل وخارج إلى هذه الحديقة، كذلك تعمير رباط محمد باشا وتحويله إلى سوق دون اتخاذه مسكنًا خوفًا من الاعتداء على ساكنيه؛ كما اقتضت هذه العمارة بناء سبيل ماء حول بئر الخَاتَم وقبة أعلاه ، كما سيتم بناء مسجد صغير بجواره(٢).

(١) صبري باشا، موسوعة مرآة الحرمين، ج(٤)، ص٦٧٦-٦٧٧.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف: HAT 554/27417. من والي الشام قدري آغا إلى السلطان العثماني بشأن تعمير مسجد قباء، غرة رجب ١٢٤٦هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد بقيت عمارة السلطان محمود الثاني لمسجد قباء على حالها حتى سنة١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م[١]. مما يظهر أنها رصينة استمرت حتى نهاية العصر العثماني وفترة من العصر السعودي.

***

(١) البرادعي، المدينة، ص٢٤؛ الخياري، تاريخ معالم المدينة، ذكر أن تاريخ العمارة الأولى مكتوب على حجر فوق باب المسجد عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، ص:١٦٨ دون إشارة للمعمارين وتفاصيل العمارة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

نتائج الدراسة
الخاتمة والتوصيات

توصلت الدراسة بعد البحث إلى جملة من النتائج أبرزها:

- تبوأ مسجد قباء مكانة دينية رفيعة منذ أن أسَّسه الرسول-ﷺ- ورغبَّ في الإتيان إليه والصلاة به.
- ترادفت العناية العمرانية لمسجد قباء بعد عهد الرسول -ﷺ- منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى العصر المملوكي فتسابقت إليه أيدي البناء والإصلاح والتعمير مما يبرز العاطفة الدينية الجياشة لدى حكام المسلمين في الاهتمام بهذا المعلم الديني الذي بناه الرسول - ﷺ- والحفاظ عليه.
- حظي مسجد قباء باهتمام عمراني عثماني قبل عصر السلطان محمود الثاني استكمالًا لما شهده المسجد من توسعات وعمارات إسلامية سابقة.
- أظهر السلطان محمود الثاني عناية كبيرة بعمارة مسجد قباء منذ أن جاءته الأخبار بحاجته للإصلاح والتعمير، وتمثل ذلك في إرسال البنائين والمهندسين والمعماريين وعمال البناء والحمالين والنقاشين

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والدهانين والخطاطين والأدوات اللازمة للبناء من أخشاب وأحجار وحبال.

- اتضحت عناية السلطان محمود الثاني وحرصه على أن تكون عمارة مسجد قباء على أتم وأحسن هيئة بتكليف المعمار محمد عزيز أفندي أمينا لعمارة مسجد قباء. وقد وقع اختيار السلطان له لخبرته ودراية الكافية بشؤون البناء والتعمير.
- تجلت متابعة السلطان محمود الثاني المستمرة لمراحل مسجد قباء وحرصه على عدم توقفها بالمسارعة بتعيين أمين جديد للعمارة بعد وفاة محمد عزيز أفندي وهو المعمار علي وحيد أفندي الذي أتم ما بدأ به محمد عزيز حتى انتهت العمارة وتشرف بوضع لوحة الرخام التي تحمل أبيات شعرية توضح تاريخ العمارة وطغراء[1] للسلطان محمود الثاني.

(١) طغراء: علامة ترسم على مناشير السلطان ومسكوكاته يدرج فيها اسمه واسم والده مع لقبه وذلك على هيئة مخصوصة والعامة تقول الطُّرَّة. (رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، تحقيق: محمد سليم النعيمي، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، ١٩٧٩م، ج٧، ص٥٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- خصص السلطان محمود الثاني أموالًا كبيرةً من خزينة الدولة للإنفاق منها على عمارة مسجد قباء ودفع رواتب أمين البناء وبقية العاملين في هذه العمارة، ودفع أجور نقل المعدات والجنود وتكلفة مواد البناء وغير ذلك مما تحتاجه نفقات العمارة. مما يبرز جهود الدولة العثمانية في العناية بالمعالم الدينية في المدينة المنورة وشمولها بالرعاية والاهتمام والإصلاح.
- تكاتفت جهود عدد من الشخصيات البارزة داخل المدينة وخارجها وعلى رأسهم شيخ الحرم النبوي وقاضي المدينة ومحافظها لمعاونة أمين البناء في عملية البناء والإصلاح. وتقديم النصائح والإرشاد والتوجيه فيما يخص شؤون العمارة انطلاقًا من خبرتهم ودرايتهم بشؤون المدينة وأحوالها.
- حرص السلطان محمود الثاني على أن تحاط عملية البناء والتعمير بإجراءات أمنية فبادر بإرسال قوة عسكرية مع المعمار محمد عزيز أفندي منعًا لأي اعتداءات قد يتعرض لها العاملون في البناء وكذلك معدات البناء.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- شملت عمارة مسجد قباء إلى جانب عمليات البناء والترميم للمسجد نفسه من بناء للمنائر والقباب وترميم الجدران والأعمدة عمارة بعض المرافق المحيطة بالمسجد كبناء مدرسة ومكتبة وحديقة وسبيل ماء حول بئر الخاتم.
- خلَّد السلطان محمود الثاني عمارته لمسجد قباء بوضع حجر من الرخام حمل تاريخ البناء وتوقيع السلطان على باب المسجد.
- شكلت الوثائق العثمانية رافدًا خصبًا من روافد التكامل المعلوماتي؛ فأعطت وصفا دقيقا لمراحل العمارة العثمانية لمسجد قباء أسهمت في الكشف عن معلومات غاية في الدقة والأهمية.

***

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التوصية:

إذا كان ثمة توصية خرجت بها هذه الدراسة؛ فهي همسة في أذن كل مهتم بتاريخ أمتنا الإسلامية بالعكوف على استقراء تاريخها العريق؛ من منابع رقراقة تتدفق وتنساب بقوة، تحمل بين جنابها جزءًا من تاريخها بأمسّ الحاجة إلى استخراجه من بواطنه وترجمته إلى اللغة العربية، وأعني به الوثائق التاريخية التي تملأ أروقة دور الأرشيف والمكتبات، ولا سيما الأرشيف العثماني المكتنز بهذا الإرث عن تاريخ هذه الدولة وإنجازاتها في بلاد الحرمين، فهناك مئات الآلاف من الوثائق والصور والخرائط بحاجة إلى الحنو عليها، والترفق بها، والغوص في أسبار سطورها وكلماتها وحروفها؛ لترى النور وتشع على الجميع بالمدفون من معلوماتها الإثرائية.

وكذلك الالتفات لكتب الرحلات ولاسيما المعاصرة للأحداث؛ فكتاباتهم تشكل مصدرًا معلوماتيًّا كبيرًا، مع أخذ الحيطة والحذر ووضعها موضع النقد والتمحيص، ولاسيما كتابات الرحالة المستشرقين.

أما التوصية الأخرى فهي إتمام الدراسة عن العمارة العثمانية لمسجد قباء في عهد السلاطين التاليين لمحمود الثاني وكذلك في العهد

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السعودي، وما شهده من اهتمام بكافة مرافقه العمرانية من لدن حكام المملكة العربية السعودية الذين بذلوا الغالي والنفيس في خدمة بلاد الحرمين الشريفين، ولا سيما في عهد الملك فهد(١٤٠٢-١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢-٢٠٠٥م)-يرحمه الله-؛ حيث شهد تغيرا جذريًّا في نمط البناء المعماري والأدوات المستخدمة في البناء، ولعل الله ييسر للإتمام ما بدئ به في هذا المجال.

***

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الملاحق:

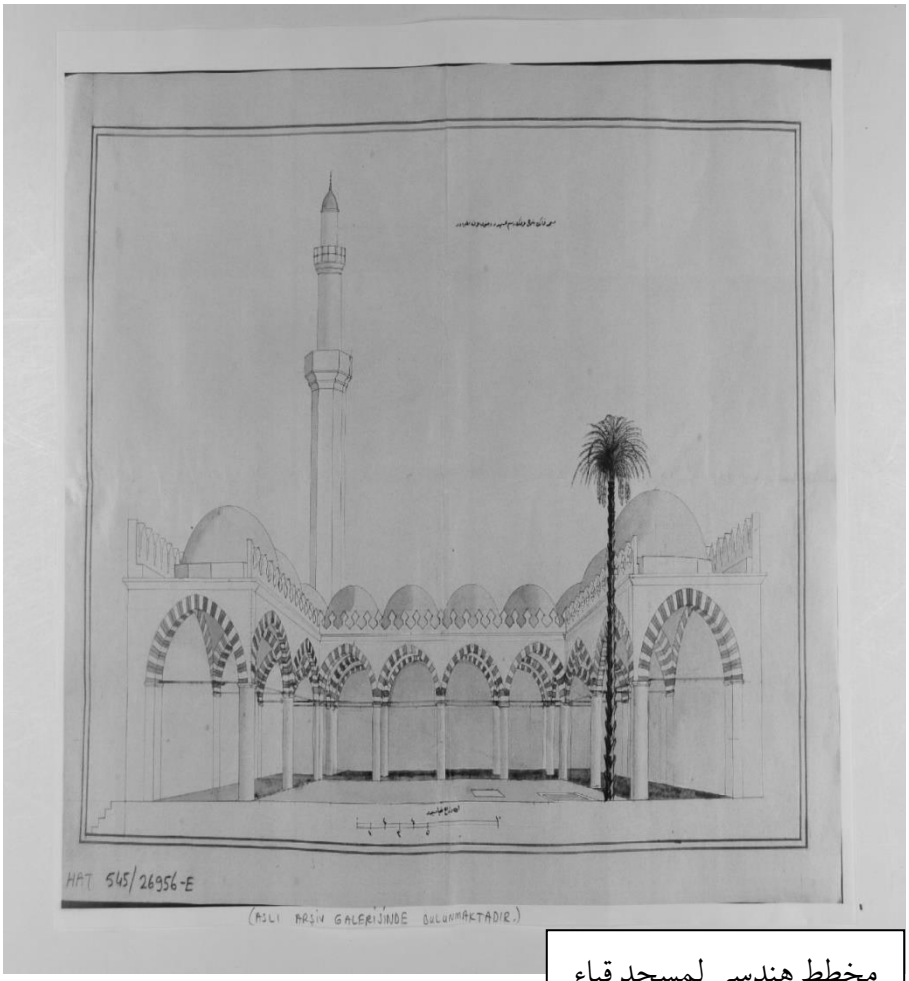

مخطط هندسي لمسجد قباء
الأرشيف العثماني، تصنيف
HAT 545/26956-E

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

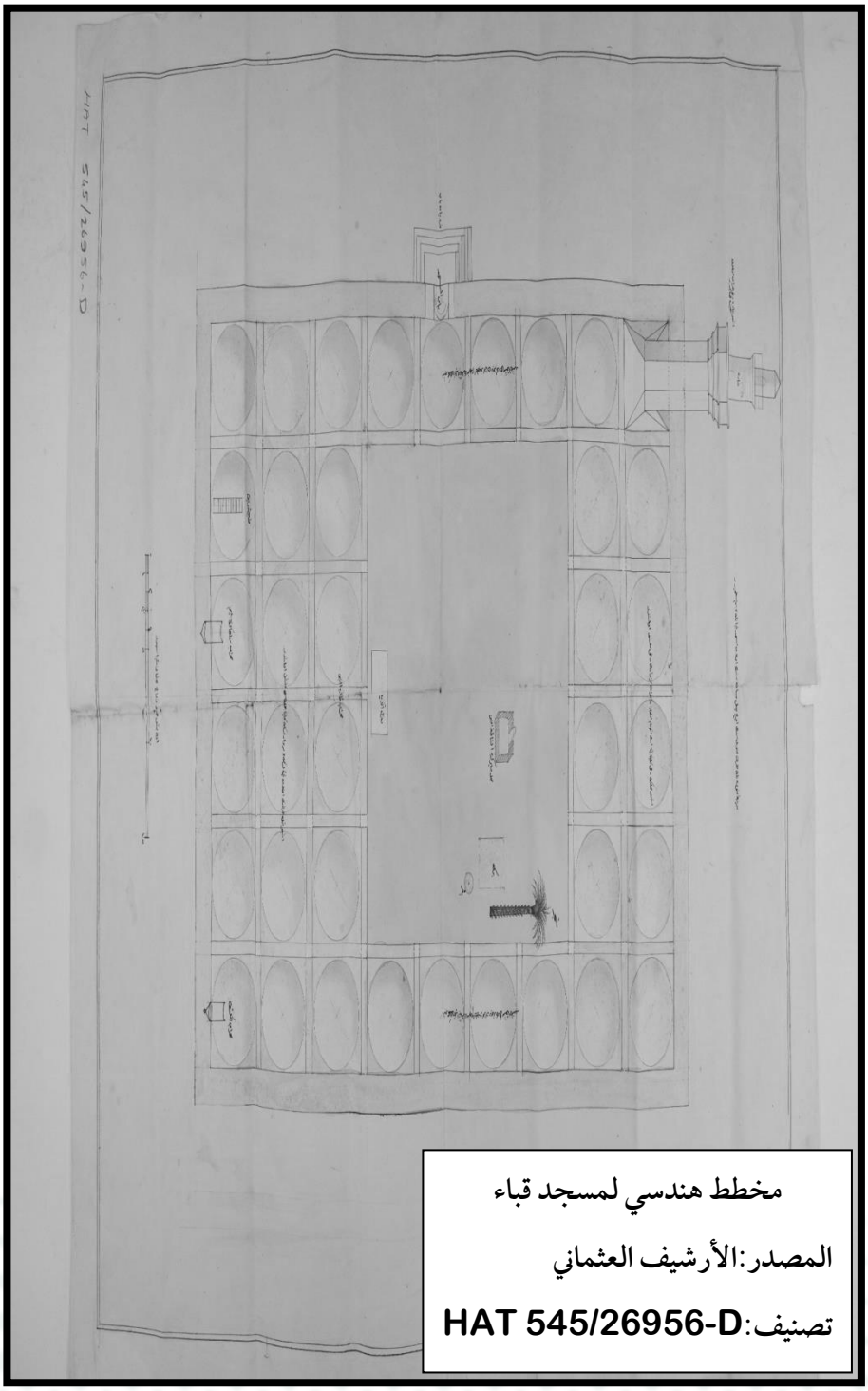

مخطط هندسي لمسجد قباء

المصدر:الأرشيف العثماني

تصنيف:HAT 545/26956-D

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وثيقة رقم (١)

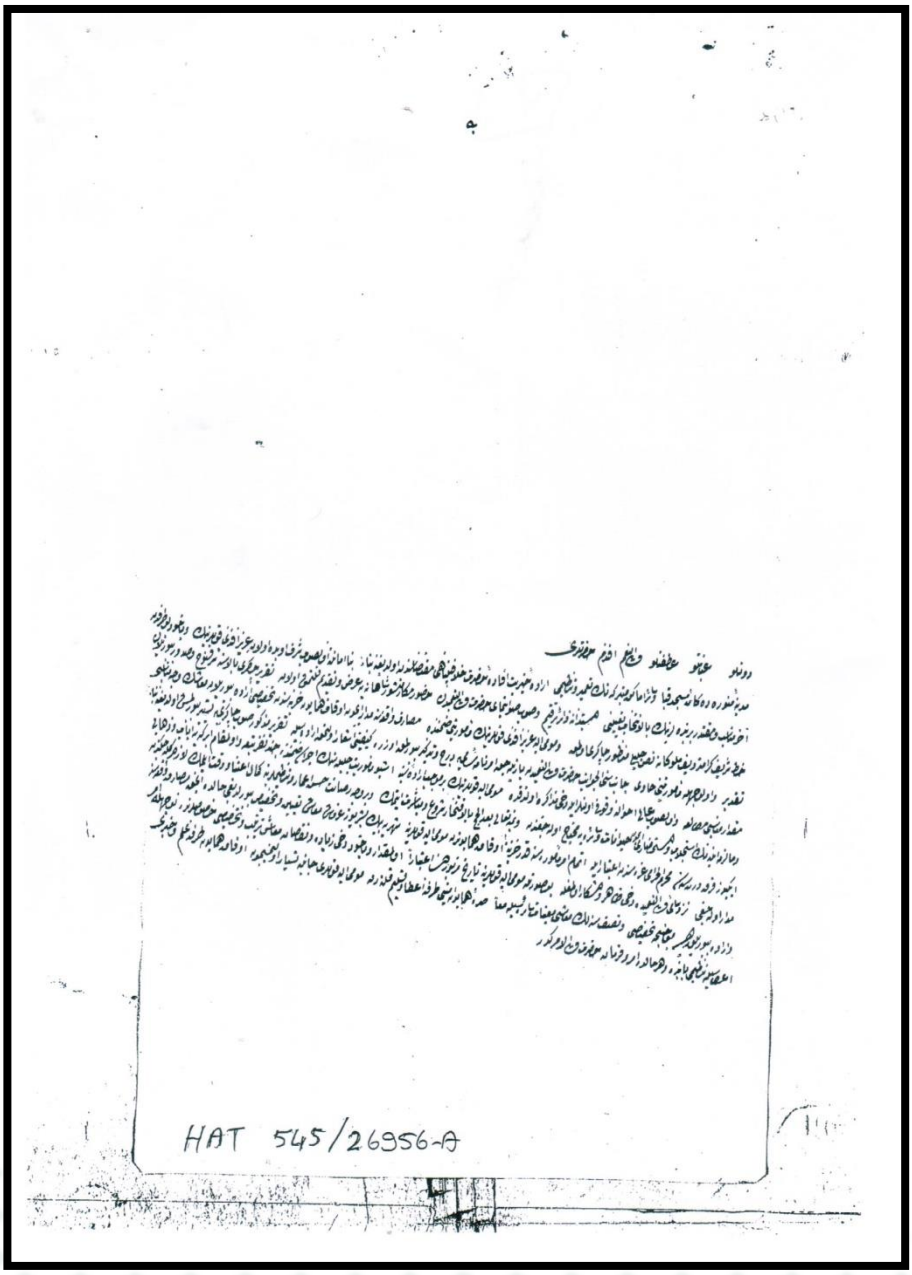

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ترجمة وثيقة رقم (١)

١٠٨٢ ١٠٧٢

حضرة صاحب الدولة والعناية والعطوفة ولي النعم أفندي.

بناء على الإرادة الصادرة من دار الخلافة لتعمير وتنظيم مسجد قباء والأماكن المباركة في المدينة المنورة بقصد فعل الخير فان عزيز أفندي مناسب للقيام بهذه الوظيفة ومقتدر عليها، وله دراية بالتعمير وهذا العرض المقدم لكم بحاجة إلى شرف صدور خط شريف. أما بالنسبة لمعاش عبدكم عزيز أفندي مقابل وظيفته ضمن هذا العمل فإن تخصيص معاشه يكون من خزينة الأوقاف السلطانية بحسب ما ترونه مناسبا وبحسب ما يصدر في الأمر السامي والإشعار بتعيينه بعد مطالعة التقرير الموجه للهيئة والوقوف على أحوال المذكور أعلاه تم بموجب إرادة سنية تكليف المشار إليه بهذه المهمة والبدء بالإجراءات اللازمة لذلك وضمن هذه المهمة الجليلة يتم تزويده بأنفار من الجند لحماية المقام المبارك وتزويده بالمعدات والأدوات للقيام بذلك واحضار الحيوانات لنقلها وكل ما يحتاج اليه وإن شاء الله تعالى بعد موسم الحج يبدأ الشروع في هذا العمل ونأمل أن يكون هناك حسن عناية وتنظيم مع كمال العناية واتمام العمارة في الوقت المحدد وهو غرة محرم الحرام لسنة ١٢٤٤هـ وتم الموافقة على صرف شهرية من خزينة الأوقاف السلطانية للمشار إليه بمقدار ١٥٠٠ قرش ويخصص هذا المعاش فقط للفترة التي تم الاتفاق على انهاء العمل بها؛ لأن انتهاءه من العمل ليس واضحا وفي هذه الحالة يأخذ المشار اليه معاشه في حال الزيادة أو النقصان عن الفترة بعد صدور أمر وارادة شريفة لتخصيص هذا المعاش كما يعطى المذكور أعلاه معاش نصف سنة ويرسل الباقي مع الصرة السلطانية ويعطى الخبر بذلك إلى الأوقاف السلطانية وفي هذا الباب الأمر والفرمان لمن له الأمر.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وثيقة رقم (٢)

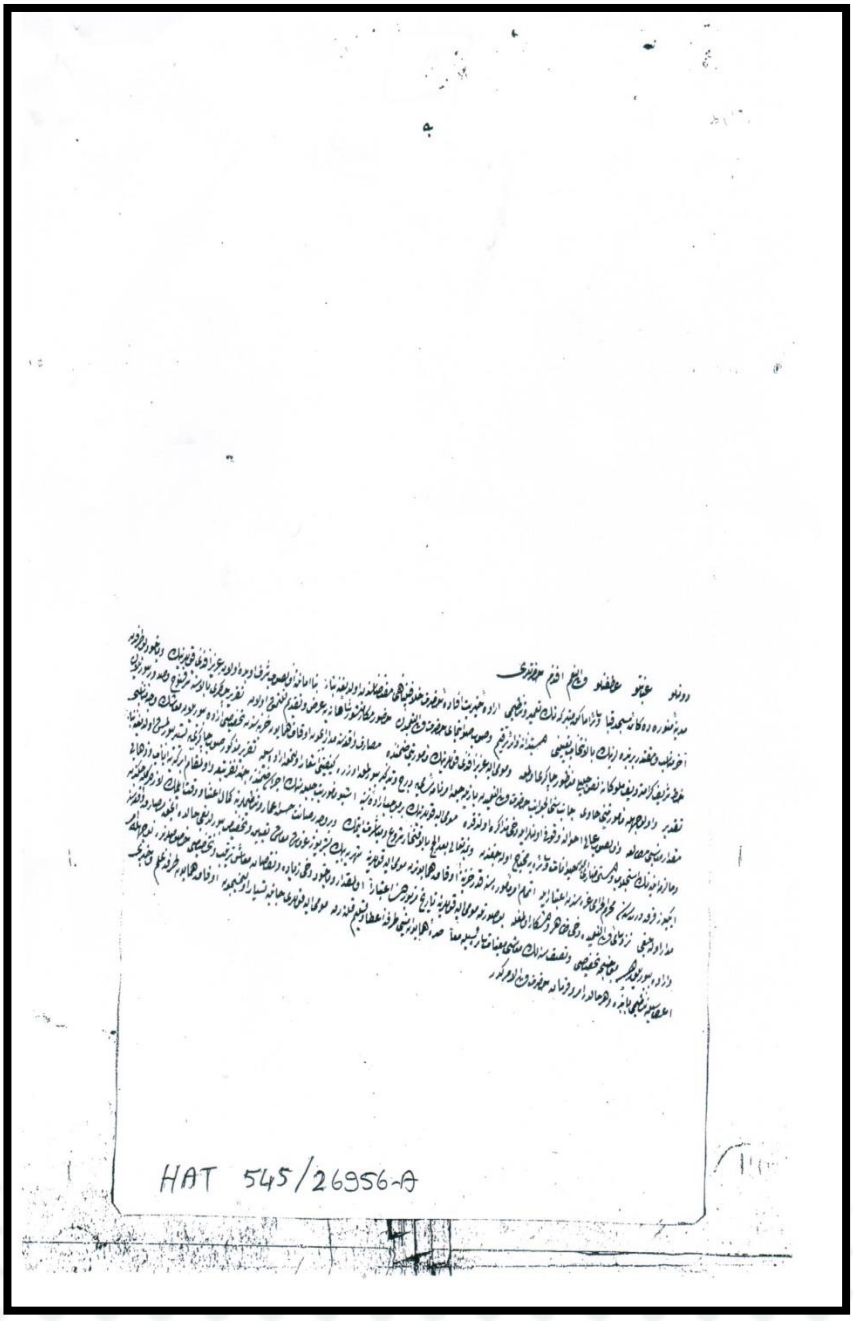

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ترجمة وثيقة رقم (٢)

١٠٨٢ ١٠٧٢

حضرة صاحب الدولة والعناية والعطوفة ولي النعم أفندي

بناء على الارادة الصادرة من دار الخلافة لتعمير وتنظيم مسجد قباء والأماكن المباركة في المدينة المنورة بقصد فعل الخير فإن عزيز افندي مناسب للقيام بهذه الوظيفة ومقتدر عليها وله دراية بالتعمير وهذا العرض المقدم لكم بحاجة إلى شرف صدور خط شريف. أما بالنسبة لمعاش عبدكم عزيز أفندي مقابل وظيفته ضمن هذا العمل فإن تخصيص معاشه يكون من خزينة الأوقاف السلطانية بحسب ما ترونه مناسبا وبحسب ما يصدر في الأمر السامي والإشعار بتعيينه بعد مطالعة التقرير الموجه للهيئة والوقوف على أحوال المذكور أعلاه تم بموجب ارادة سنية تكليف المشار إليه بهذه المهمة والبدء بالإجراءات اللازمة لذلك وضمن هذه المهمة الجليلة يتم تزويده بأنفار من الجند لحماية المقام المبارك وتزويده بالمعدات والادوات للقيام بذلك واحضار الحيوانات لنقلها وكل ما يحتاج اليه وإن شاء الله تعالى بعد موسم الحج يبدأ الشروع في هذا العمل ونامل أن يكون هناك حسن عناية وتنظيم مع كمال العناية واتمام العمارة في الوقت المحدد وهو غرة محرم الحرام لسنة ١٢٤٤ هـ .وتم الموافقة على صرف شهرية من خزينة الاوقاف السلطانية للمشار اليه بمقدار ١٥٠٠ قرش ويخصص هذا المعاش فقط للفترة التي تم الاتفاق على انهاء العمل بها لأن انتهاءه من العمل ليس واضحا وفي هذه الحالة يأخذ المشار اليه معاشه في حال الزيادة أو النقصان عن الفترة بعد صدور أمر وارادة شريفة لتخصيص هذا المعاش كما يعطى المذكور أعلاه معاش نصف سنة ويرسل الباقي مع الصرة السلطانية ويعطى الخبر بذلك إلى الأوقاف السلطانية وفي هذا الباب الأمر والفرمان لمن له الأمر .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وثيقة رقم(٣)

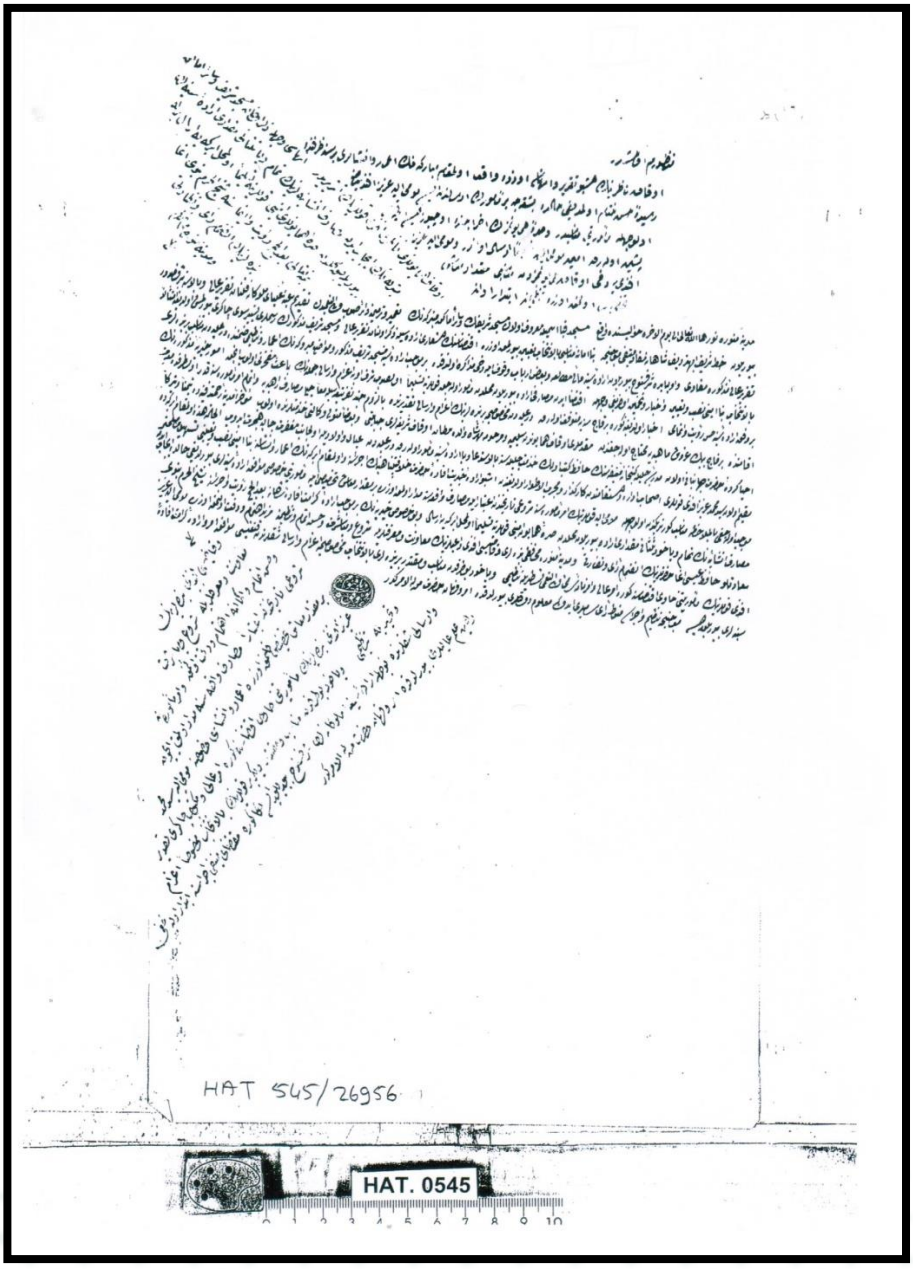

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ترجمة وثيقة رقم(٣)

٠٠١٦

مسجد قباء المعروف والواقع في أطراف المدينة المنورة -نورها الله تعالى إلى يوم الآخرة- هذا المسجد الشريف وسائر الأماكن المنيرة بحاجة إلى الترميم والتعمير وتم تقديم عريضة وتقرير للعتبة العلية بذلك فكان شرف صدور خط شريف وأمر سلطاني بذلك وتعيين أمين بناء مناسب بمقتضى الإشارة وتم وضع المخططات لذلك امتثالا للأمر المذكور ومفاد التقرير في هذا الباب أن الأمر الشريف الصادر بعد المذاكرة التي حصلت بعد أخذ اراء أصحاب الوقوف على هذا الأمر بموجب إرادة سنية وكانت النتيجة تمام الموافقة على اعمار المسجد الشريف المذكور والمواضع المباركة وتنظيمها وتم تعيين أمين للبناء لتلك المهمة وخصصت الأموال للمصارف اللازمة لهذا التعمير والفعلة العاملين يكونون من المحليين لكن اتمام هذا العمل الخيري بحسب الارادة السنية فان الأخبار الواردة من هناك إلى الدار العلية فإن العمل متوقف منذ كم سنة ويلزم إرسال أنفار من الجنود من اجل اتمام العمل وتأمين مصارفهم وهباتهم لهذا فقد احتاج الأمر لإتمامه إلى مزيد من الآف القروش في السابق من الأوقاف السلطانية وقف السليمية ووقف المرحومة والدة السلطان مهر شاه عن طريق جباة الأوقاف الشريفة وبعض الوكلاء المتولين طلبت من الدار العلية صدور إرادة سنية من أجل إقامة مدرسة ومكتبة لحفظ الكتب في ذلك المكان وإحياء هذا المكان المبارك بغاية نيل رحمة الله وفي هذه الحالة فإن هناك عبدكم محمد عزيز أفندي هو صاحب دراية وخبرة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومجرب من قبل وصاحب استقامة في العمل فصدرت الإرادة عن مقر الخلافة بالموافقة لنيل الخير والبركة واعمار وإنشاء المكان وتعيين المذكور أمين بناء وتسهيل مهمته فهو مناسب لهذا العمل ويخصص معاش للموظف المذكور اعتبارا من تاريخ الشروع بالتعمير وسيتم ارسال ثلثي المبلغ المراد للمصارف مع أمين الصرة السلطانية لتسليمها بموجب الإرادة السنية ويبدأ التعمير بعد انتهاء موسم الحج بمعاونة شيخ الحرم النبوي الشريف سعادة حافظ عيسى آغا والعاملين في نظارة الأوقاف ومحافظ المدينة المنورة وقاضها الداعيين إلى الدولة ويكون الشروع بالعمل بمعرفتهم ويشرفون على حسن اتمام هذا العمل وتنظيمه والمطلوب منهم زيادة الاهتمام في تلك الفترة وقد تم تسطير الأمر العالي المشار إليه إلى عبدكم عزيز أفندي على أن يتم اختيار فعله من السكان المحليين حسب ما صدر في الإرادة السنية وما جاء في الأمر الشريف وبموجب هذا القرار تكون الأمور مناطة بكم والأمر والفرمان لصاحب الأمر.

ما كتبه ناظر الأوقاف السلطانية

ينهي عبدكم ناظر الأوقاف السلطانية اليكم أن المسجد الشريف وسائر الاماكن المباركة وما تحتاج اليه من مصارف من اجل اتمامها وانشائها بحسب الارادة السنية ستسلم إلى عبدكم أمين الصرة السلطانية لتسليمه المحل المبارك وان شاء الله بعد موسم الحج يبدأ أمين البناء بالعمل بمعاونة شيخ الحرم النبوي آغا وبانضمام العاملين في النظارة ومحافظ المدينة المنورة وقاضيها ومعرفتهم ويشرفون على العمل بعد الشروع به لإتمامه مع كمال الاهتمام أن يتم العمل

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في الوقت اعتبارا من التاريخ المذكور ومن أجل المصارف يخصص معاش الى المشار إليه عبدكم سيد محمد عزيز افندي بحسب مااقتضاه الأمر العالي واختيار مجموعة من عبيدكم المحليين للقيام بهذا العمل وإرسال مجموعة عسكرية بعد صدور الامر وستبدأ الاجراءات للقيام بالأمر وإعلام من يلزم بذلك والأمر والفرمان لصاحب الأمر.

ما كتبه السلطان

تم النظر في الأمر

وزير الاوقاف بعد الوقوف على هذا التقرير لإعمار وانشاء هذا المقام المبارك والاخبار وان ذلك سيتم في سنة واحدة وانه في هذه الحال يجب ارسال موظف للقيام بإتمام العمل فان المشار إليه عزيز أفندي هو المناسب لذلك ويتم إرسال ٣٠٠ كيسا اقجة (كل كيسا ٥٠٠ اقجة) مع أمين الصرة السلطانية تدفع نقدا إلى أمين البناء ويتم تخصيص معاش مناسب للمشار إليه عزيز أفندي من واردات الأوقاف ابتداء من مباشرة العمل.

***

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة